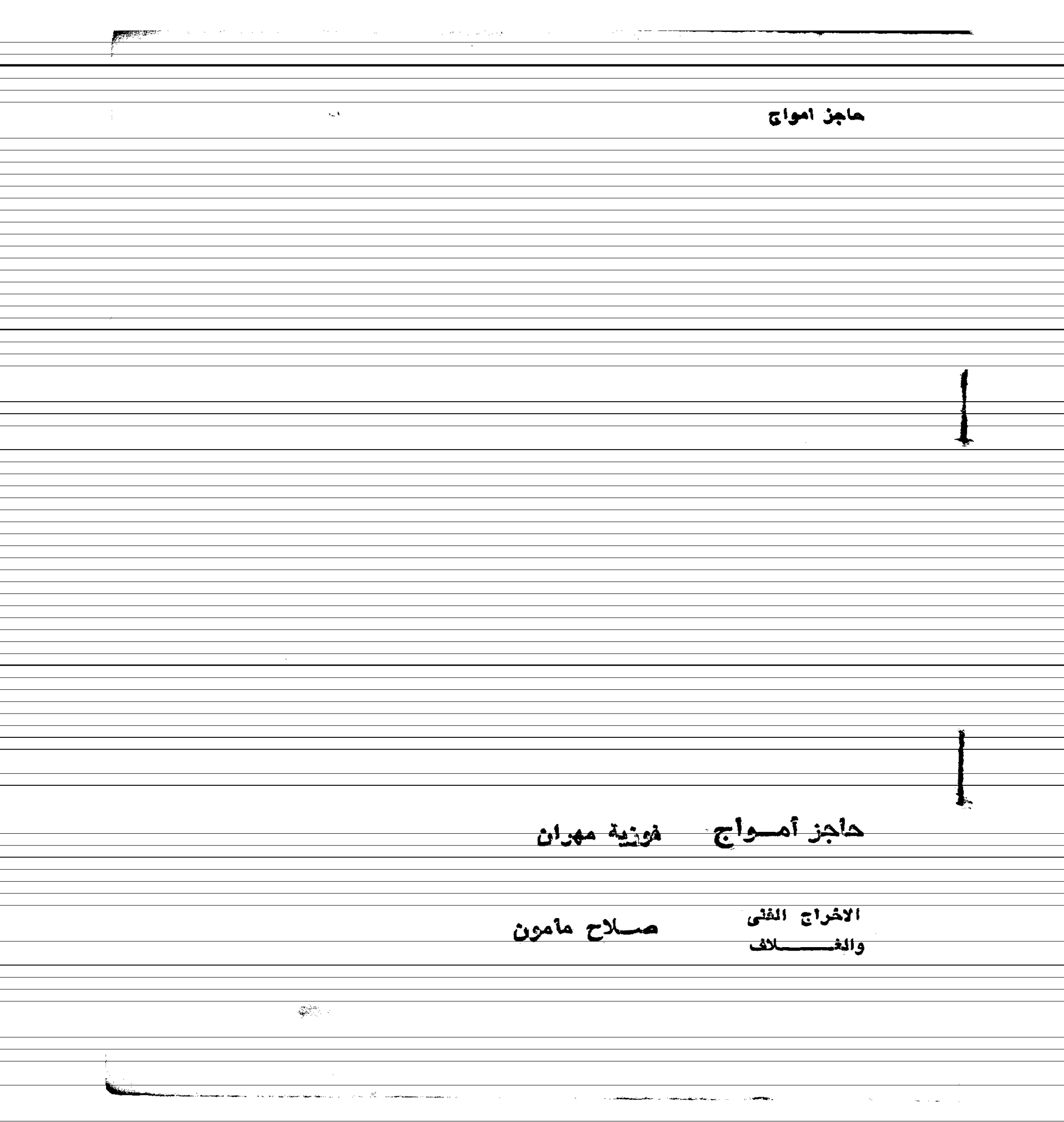
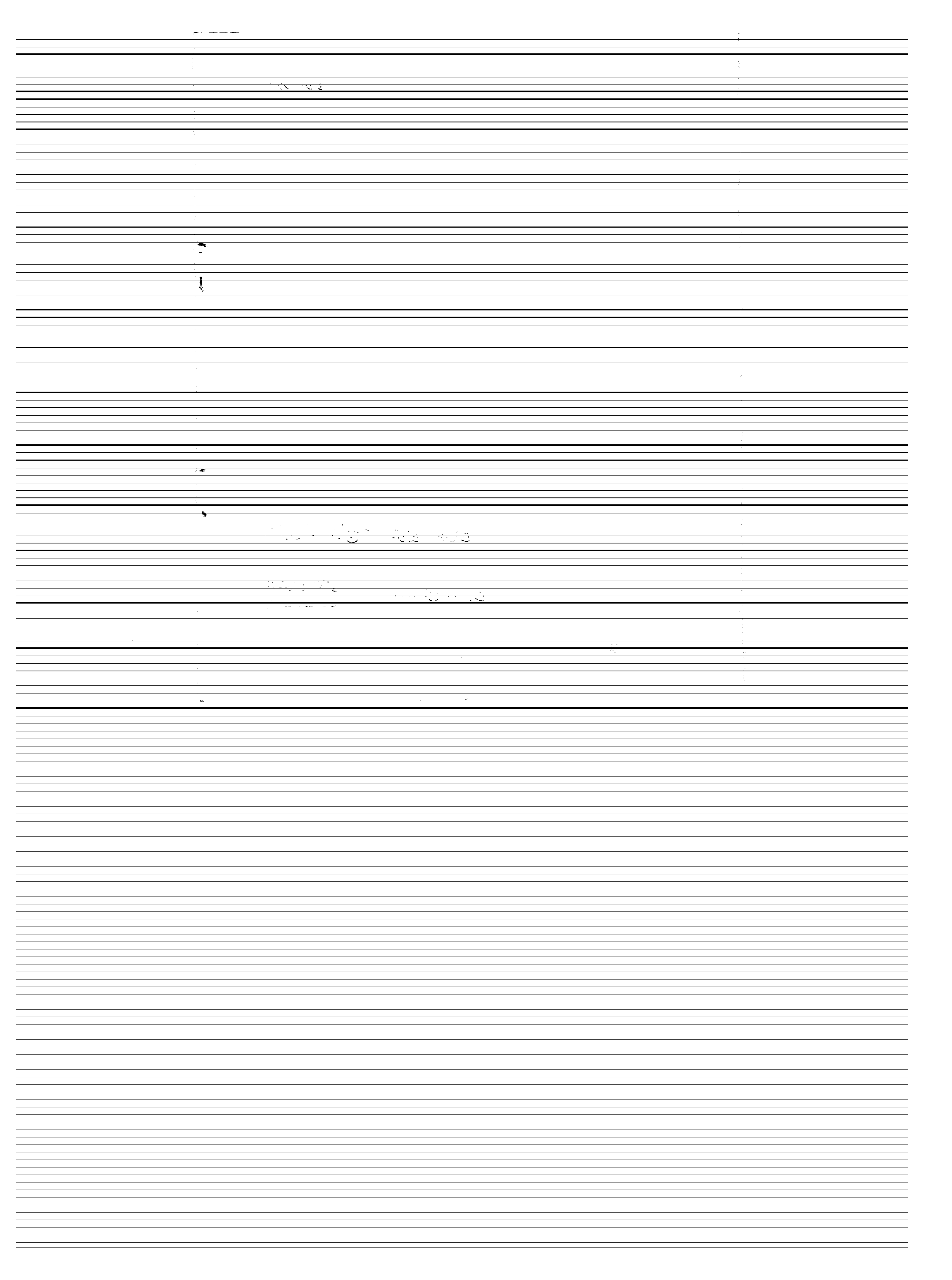
حاجز امواج



حاجز أمـواج

فوزية مهران

الاخراج الفنى والغلاف صلاح مأمون



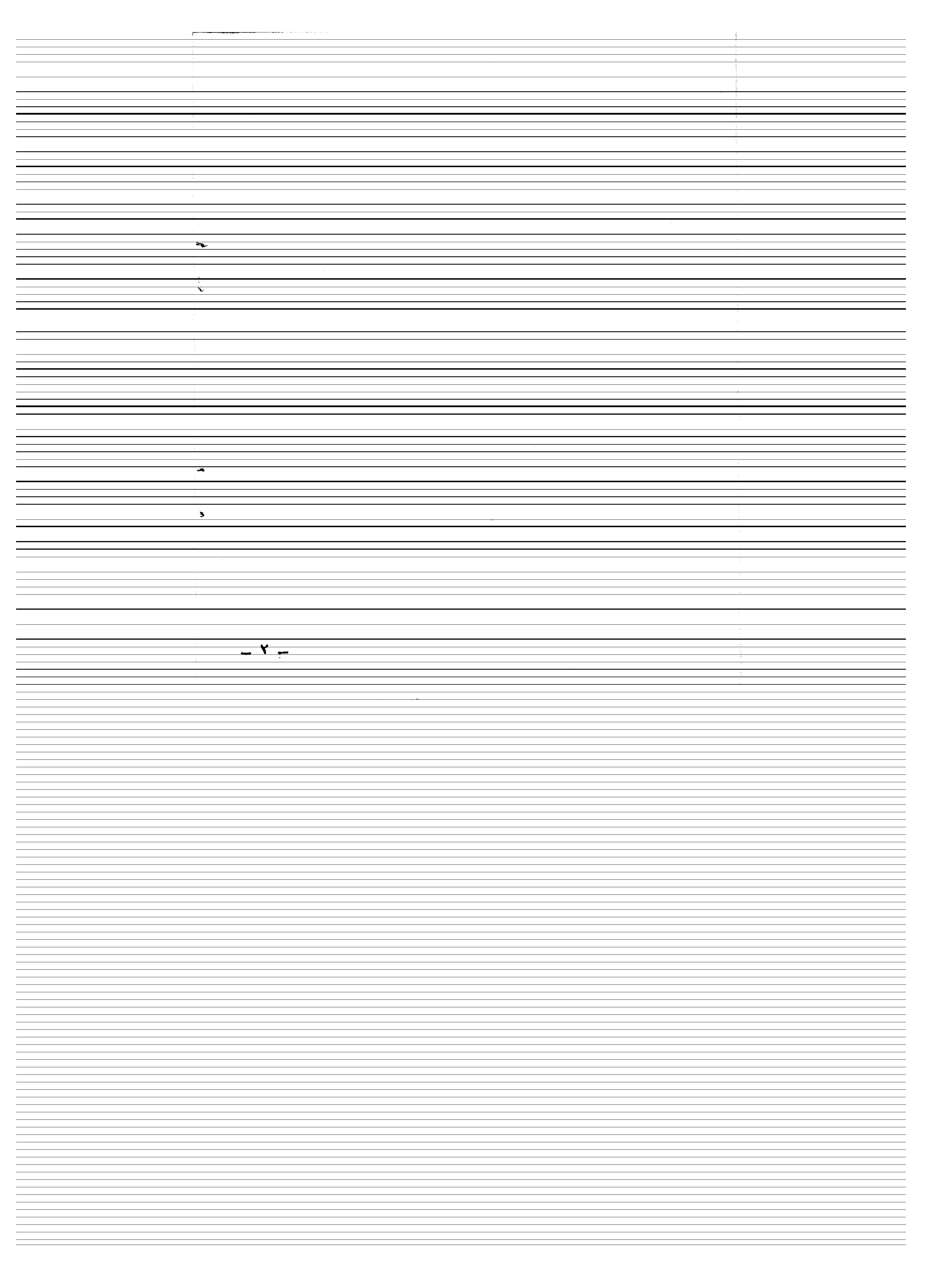
اهداء

• حاجز امواج انا ◊◊◊◊◊◊◊◊◊

« فى مواجهة الأنواء والرياح العابثه وفعل الأعاصير »
ـ لست شاهدا من حجر .. ولابناء قد من صخر ـ
* ولكن حاجز أمواج من الجسد الحى
« أحبـائى : لاتنفذ اليهم شـكوى أو أنين »
ـ قال : الصبر حاجز أمواج لنـا
« زاده اللـه بسطة فى العلم والجسـم »
ـ قاموس البحر العظيم
ـ دثرنى بحكمة الصبر الجميل
ـ ميراث الحكمة لدى عموم المصريين .
ـ وزاد التقوى والنضال لأمة العرب من قديم .

إلى من عملت حاجز امواج لهم ...

فوزية مهران



حاجز امواج

جسر ممتد الى الخلاص : قريتنا

ساحة للتأمل والراحة •• وخدر الانسحاب الجميل ••

العودة الى رحم الأرض •• الى الداخل الرحيم •

نريد لنهب أنفسنا الي عمق الجذور •• وحضن الحقول •• ومصدات الريح العالية •
بغيتنا هدأة النفس •• وهدوء التفكير ••

وجهتنا الصبر الخصيب •• وبزوغ الأمل من جديد •
(تتبعنا المحنة حقا •• تجد فى أثرنا •• تتطلب مواجهة •• وكدحا عسيرا) •

أحب الطريق من والى قريتى ••
كل « طلعة » لى تحمل الشــــفاء والحكمة •• والفرح الخفى ••

الأشجار علي الطريق تقف مصفوفة •• شـــــاهدة •• ترفع أذرعها الى السماء •• تتضرع راجية •• تســـكب على الطريق طيبها وأشواقها ••

(فى حاجة لنســـتظل بها •• نحتمى بثباتها •• نتمثلها كلمة طيبة أصلها غائر •• وفرعها فى السماء) المصــير كله بات معلقا •• مصلوبا هكذا ••

تلوح لى ســـنديس •• يحضرنى الابتســـام •• احس بانتعاش •• تأتيني الكلمات متدفقة (تضـــيعين نصف عمرك من أجل عبارة فائقة ـ هكذا يداعبنى زياد دائما) وما الكلمات •• اليست مشاعر دافقة •• وموسيقى كامنة •• واشــــواقا مرســــلة •



مثل تلك الجميزة العتيقة امي خالدة - نعرف انها هناك دائما ..
وبانتظارنا . تقف كالجبل صامدة .
تسند ظهر الدار والأبناء .. وتواجه كل الصعاب .. ودائما باسلة .

تتكسر لديها الأنواء والأعاصير .. هيج الرياح والمحن .. أسرع كي يسعنى حضنها - مثل صخرة عسيرة بارزة .. يستحيل زحزحتها من مكانها - تلك طبيعتها تعمل وتدبر .. وتجد حلا لكل معضلة ..

فى جلبابها الأسود المريح .. وبضفائرها الفضية .. وعيونها الخضراء تلقانا باسمة . هى سندبيس لدى .

ليست مثل كل القرى - يخيل الى - لها رائحة مميزة .. توقظ حسى ومشاعرى (ادعوها قريتى - رغم حبى للبحر ولمدينتى - ولدت بجانبه ووجدت فيه عشقى ومسرحى - لكنى احس انى ولدت بهذه القرية ومنذ آلاف السنين .. وانها كانت مرتع احلامى .. وبراح صباى وجنة موعدى) .

والدار ايضا عرفتها منذ اللحظة زياد الى بيت فخيم لأحد اقاربه - ونواحيها .. شدتنى اليها .. اشار الأولى .. تذكرت كل ركن فيها .. كاد قلبى ان يتوقف .

- لا تقل لى : انها داركم ..

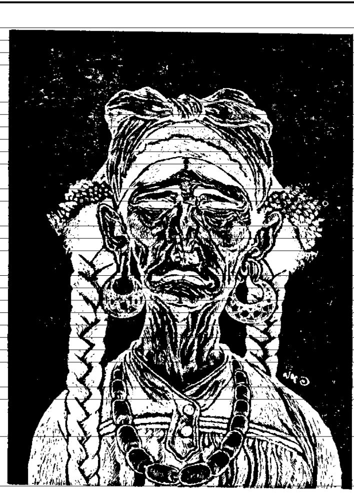
بل تلك الخفيضة الرحيبة بيتى ومقصدى

(زرتها كثيرا فى احلامى .. تجسدت حية من خيالى .. تجولت فيها عمرى .. اعرفها .. الباحة الداخلية .. وقاعة الفرن .. والسلم الخشبى المتداعى .. وقدور الجبن القديم « تحت قباب مبنية من الطين والتبن » .. هدات اخيرا عندما توصلت اليها ..

الشباك العريض يطل على الفناء وفروع العنب تحيط به •• تستعمل قاعدته كمنضدة •• عليها مفرش نظيف •• وضعت عليها كتبى – كانت تنتظرنى – وتستعمل أيضا كثلاجة طبيعية تحفظ الطعام وقلل الماء •

السيدة (خالدة) حدثنى زياد عنها فى اللقاء الأول فوق مركبه •• تخيلتها بنفس قامتها النحيلة •• وشحوب وجهها •
تبدت لى •• وخيول البحر البيضاء تتعالى حولنا وتستبق ••

(أخذنى فجأة الى قلب عالمه •• تداعت الأمواج بنا من البحر الى عمق قريته •• قال توجد امرأة دائما لها جسارة وصمود عشرات الرجال ••
وقلت لنفسى يومها •• تعلم فى مدرسة الصمود الأموى •• واخذ من البحر كنوز حكمته) •



عندما رأتنى أخذتنى بين أحضانها •• وسعنى بحر الحب والحنان •• غبت داخل مودة صافية •• توصلت الى مرفأ أمان ••
لحظة تخلت عنى الهموم •• نفضت اثقالى ومتاعبى •• عدت صغيرة مترعة ••

قال : رأيت كيف احتفت بك دارنا ؟
قاطعته بثقة : هى دارها يا ولدى •
يعنى لولا الشغل •• كانت بقيت هنا ••
مكانها ينتظرها دائما •

تعجبت وهى تضيف : شغلكم غير اى شغل فى الدنيا ••
انت فى البحر •• وهى وسط الورق والكتب ••
فى المساء داعبتنى قائلة : ما هى القراءة والكتابة يا بنتى بحر تانى •



اعود اليك امي خالدة

اندفق السرور على ٠٠ تنفس الشوق في دمي ٠٠ فرح خفي ٠٠
رائحة الأرض ندية ٠٠ الأرض تروى بذوب قطرات النيل ٠٠ وعذوبة النهر وبأس الفلاحين (لا يبدو لي غريبا الآن عندما يطهر الفلاحون أشياءهم بالتراب ـ يؤمنون بتراب مصر شافيا طهورا) ٠

الآن ننسحب الى الداخل الرحيم ـ مصر كلها فعلت ذلك ـ انطوت على نفسها ٠٠ التصقت برحم الأرض ٠٠ تدثرت بالجب العميق ٠٠ ندمت وأنبت بعضها ٠٠ أحست أنها ظلمت نفسها وعيالها عندما تخلت عن أجمل ما فيها ٠٠
ايمانها وتوحيدها ٠٠ زرعها وحرثها وعدالة كيلها ٠٠
جاءت مرحلة التسبيح والمناجاة ـ كانت الهزيمة مزلزلة ـ نريد لنلقى الى الساحل ٠٠ يجيئنا المخاض والبعث من جديد ٠٠ ويستجيب الله لعملنا ودعائنا ٠

الكتابة مهنتنا فيها عزاء وبعث وامل ٠
جسر يمتد بنا الى الخلاص ٠

(عشنا زمنا في انعدام الوزن ٠٠ وجاء أوان العمل) ٠

ـ اعادة بناء الجيش ـ

فكرة ملهمة فجرت ينابيع الالهام لدينا ٠٠ ونجمع لها ٠

نعيد بناء انفسنا ٠٠ تواصلنا ٠٠ هياكل التعبير ٠٠ وفنون الوصل والمشاركة ٠
نتعلق بتلك الصيحة ٠٠ تمسنا روح الجندية ٠٠ تسند قامتنا وظهورنا ٠٠ تسرى روح جديدة بيننا ٠٠
(وقيل في أسباب الهزيمة انهم خذلونا داخل ديارنا ٠٠ اخرجونا من ابنائنا واموالنا ومواهبنا وتفرد عزفنا ـ عاملونا كاسرى ـ كادوا لمن

طالب بحرية الداخل كي نقوى على مواجهة أعدائنا ـ علينا أن ننضم الآن داخل صفوفهم لنكون كتلة واحدة) ٠

جربت الكتابة للسينما ـ أوسع الفنون انتشارا ـ يمكن أن تكون ذخيرة حية بين أيدينا ٠٠ نخرج الى مناورة حية بها ٠٠ نستخدمها فى حركة تمشيط سريعة ٠٠ تساعد الناس على تفهم الخطة والهدف ٠٠ وتنشر الأفكار الجميلة وقيم الحق والجمال بينهم ٠

(عكفت على فنون التعبير بالصورة ٠٠ فى فترة التعطل والمنع ٠٠ بوار الكلمات وقصائد الشعر) ٠

عمليات الاستنزاف لقوات العدو تعيد لنا التوازن والثقة ٠٠ تدخل الأمل من جديد الى دورة دمائنا ٠

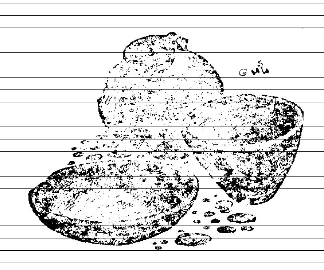
مرة أخرى يعود فريق العمل من الأصدقاء ـ بعد طول انقطاع وفرقة وغياب (منهم من مات ٠٠ ومن قتل ٠٠ والذى اعتقل) وما كنا لنخذل الدعوة للبقاء ٠٠ وعد الاصلاح ٠٠ صيحة القائد للتجديد والاقامة ٠

ومهما نالنا من مشقة ٠٠ ووقع علينا من ظلم ٠٠ وعانينا من الجور والقهر (تخلينا عن الأسى ٠٠ وشحنة الرثاء والغضب) وانتبهنا للتدريب والمناورة ٠

(وبجانب مهمتى ٠٠ عرفت علما عظيما ـ كزوجة بحار ـ علم الوفاء والواجب وأن نكون على استعداد دائما) ٠

أعددت قصة فيلم عن البناء (وأنت اذ تبنى العام تبنى الخاص أيضا وتحسنه) ٠

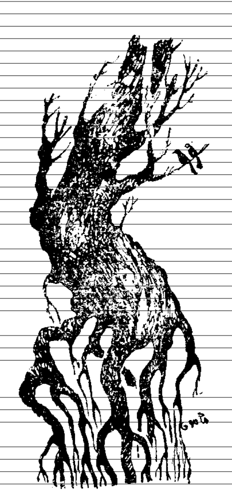
صديقتى « أمل » هى البطلة ـ ومن سواها تزدان بها البطولة وتتجلى ـ خرجت أخيرا من المعتقل ٠



سبقتنا الى القرية لنتواجد فى مكان الأحداث والتصوير ـ ولم تحدثنا بعد بقصة العذاب والاعتقال ٠

اكتفت بأن قالت : الخروج مثل الولادة ٠٠

دعونا نولد بالفن من جديد ٠٠
ونرو عطش جماهيرنا وشعبنا ٠٠
وأرضنا ٠



وهبط « بلال » من عصبيته ليخرج الفيلم ٠٠ ترك بندقيته وموقعــــه فى المقاومه وجاء ليشترك بكتيبة الفن ٠٠ ويخلق عملا مناضلا ٠

وزياد ــ حبيبى زياد ــ مجرد ذكر اســـمه يشيع البهجة والمرح ــ حتى ولو كنا فى ضيق وألم ٠

لم تصـــــدق أمـل انه تقاعـد (أوصدوا البحر دونه والسفن) ٠

صرخت : كيف يحتمل ٠٠

صاح بلال : مثلنا جميعا ٠٠

عاد يقول بعنف : ولكن سيظل شــــاهدا ٠٠

لن يكون هناك اصـلاح حقيقى ٠٠ خريطة للعــدل والحق ٠٠ تغير صحيح ٠٠ وتقدم حقيقى الا اذا عاد زياد الى مركبه ٠٠

(يرقب البحر من بعيد ٠٠ يصر على العودة ٠٠ يشم رائحة الخطر ٠٠ يريد ليقتحم الصــــراع ٠٠ ويؤدى مهمته ٠٠ يوجه مقود سـفينته الى العبور) يسرح البصر الى الجبهة ٠٠ قلقا يترقب ٠٠

يقول لنفســـه ولنا ولكى تهدا ثائرة النفــوس : تهب رياح التغيير حقـا ٠٠ محملة بالأمل ٠٠ ولا نلبث ان نبدا دورة العمل من جديد ٠٠

هتف بلال : وعلى الطريقــــة التراجيدية القديمة ٠٠

شمل الفساد البر والبحر معا ٠

حاولت أمـل تخفيف حـــدة التوتر ٠٠

تذكروا يوما قال فيــه الريان : عندما ارى زورق الامداد يشـــق بحر الخطر ويصـــل محملا بالزاد والماء الى عمــال الفنار ٠٠ أومن بامكانيه ان ننتصر ٠٠ وننجح فى عبور المستحيل ٠

قلت فى بالى يومها : عنـــدما صعدنا مركبة تساءل : وهل كل شىء لديكم تحيلونــه الى قضـــية ٠٠ وسياسة ٠٠

قلت (ها هو يتحول الى سياسى مثلنا) ٠

هتف بلال : وأستاذنا الدكتور زهران اكد لنا ان الربان قال « نبوءة » •• ظل يردد « نبوءة ملهمه » •

قلنا معا انا وامل : نبوءة قادمة •

فكرت امل بصوت عال : عملنا يصلح فيه التصويب والمراجعة •• التغيير والتبديل •• لكن مشكلة الربان عسيرة حقا •• « يريد بحرا وسفينة » •

ـ وقيادة ملهمة •• تعرف الاكفاء •• وتجعلهم طليعة المقاتلين ••

ـ وهل ندعه حتى تحدث المعجزة !

(تذكرت فجاة قصيدة شاعرنا العربي •• منفى خارج الديار ومن الكلمات يزرعها في ارض الوطن •• وحبات قلوب مواطنيه) •

« لو انا وآباءنا الاولين
قد كدحنا طوال السنين
وادخرنا على جوع اطفالنا الجائعين
ما اكتسبناه في كدنا من نقود
ما اشترينا لها خاتما
أو سوارا » •



وفي حالتنا نقول : « ما اشترينا قاربا أو « شراعا » » •

قال بلال : كنت انظر اليه دائما •• اتمثله • عيني عليه اينما ذهبت •

وفي قلب العمليات •• اتصل بقوته وحكمته •• تبرق من حولي جسارته •• واراني واحدا من أفراد طاقمه ••

الآن اشعر بالذنب أمام عزلته •

ـ يشعر هو بالذنب لتوقفه •

(لا يتصور ان يبقى ساكنا •• صامتا •• في ذروة الموقف الصعب الذي توجد فيه أمته •• لا يتصور كيف يبقى قاعدا ••

أصـدقاؤه لا يتفهمون موقفه ··
يقولون ان الثرآء موعـــدهم ·· بين
قنوات العالم الهامة وارشـاد السفن
·· فكيف به يعذب نفســـه ويعمق
محنتـه) ·

●

سندبيس مرفأ نجاة

جسـر ممتد الى الخلاص ··
(لم يكن يدرى ماذا يصنع بنفسـه فى
المدينة ·· لا تلائمه تلك العيشـــة
الداجنـة) ·

قال : كان يجب أن أزرع بعـــد
أن جف مرفآى ·· لكن رقعة الارض
ضيقة تجود بالطعام لصغار جائعين
·· يلتمسون منا عونا ومددا ·

قلت : فلتحرث الكتب ·
بحر المعرفة واسـع عميق ·· سـمعت والـدتك تقـول : القـراءة
والكتابه بحر ثانى ·

– تشيرين الى أنها فترة تدريب وإعـداد ·
تجعلنا نبحـر الى آفاق أبعـد وأوسـع ··
يمكن أن تجعـل حركتنـا فى تقدم ··
وتلهمنا تغيير وسائلنا ·

– نحـول الموقف الى حالة قصوى من الاستعداد ·
– لكنى لا أحتمل ··

أفعل ذلك « مختـارا ·· وعلى مهل ·· أو خلال رحلة بعيدة ·· آخذ
معى أصـدقائى من الكتـاب ·· والكتب ··

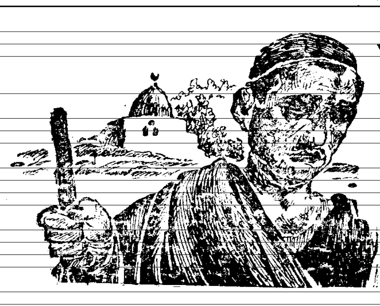
الوضـع الآن لا يحتمل ·· صـدرى يحترق ·· والصراع على
أشده ·· لابد من الالتحام ··

ثم يأتي بعد ذلك هذا النوع من الجهاد النظرى وساحة الكتب ·
حقـــا فى قمـــة نضجه وتألقه ·· فى ذروة لياقته ·· يريد ليخـــدم ·· البحر ميدانه ووسعه يتبع دســـتور بحارنا العربى القديم ـ ابن ماجد ـ « نطلع سفننا وأرواحنا فوق أكفنا ·· ركوب البحر كأداء الفريضـــــة ·· نستشـــهد ولا نترك مهمتنا أبدا ·· ولا نعرض سفينتنا للعطب » ·

عندما رأى دموعى وعرف مدى قلقى عليه ·· حاول التخفيف عنى :
ـ تذكرى ما قلته لك ·· رجـــال طاقمى قادرون على عبور المستحيل ·
لا تخشى على شيئا ·· سأعود يوما الى مركبى ·· أعتلى سطحه من جديد وأشـــق صـــدر القناة ·· وألثم أرض سيناء المقدسة ·

حاول المرح : الرادار داخلى ·· أو النور الكامن بالاعماق يمد بى الى هذه الرؤيا الواضحة ـ ولنستعد الآن لرحلة الجهاد والمواجهة · بعدها اخذ صفا من الكتب وانطلق الى قريته ·· الى الأم خالدة نبع الحكمـــة والالهام فى حياتنا ·

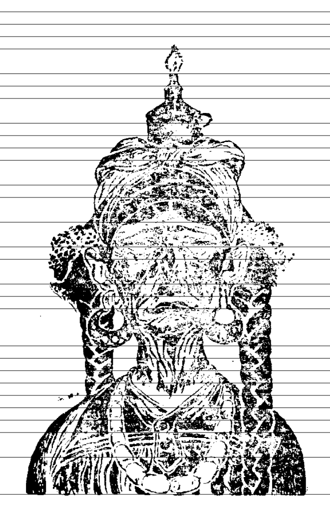
(كان لا يلبث أن يعود ويأخـــذ المزيد من الكتب ·· يبنى اســـطولا له فى عالم المعرفة ·· يقيم صاريا عاليا فى بحـــر المعـــرفة ·· يعمق لديه فن المبادرة والمناورة) ·
طمانتنى دورته الجـــديدة ·· حركة طبيعيـــــة (نفس حركة الموج والســـفينة ·· الابحـــار والعودة ·· البـــدء والرجـــوع ·· ويبقى المد والشوق متصاعدا) ·
والحمد لله وجدنا مخرجا ··



نظرنا الى الموقف كحـــالة عامة ·· لم نقســـــــمه الى جزئيات ·· وظروف خاصـــة وشئون صـــغرى أو كبرى لنا ·· وأحوال متفرقة ·

لم يعد الأمر لدينا يعنى توقف ســـفينة ·· أو غلق مسرح أو غربة الكلمات ونبذ الصفحات لنا ··
ركـــزنا حـــول تلك البـــداية الموحية ··

ـ بناء الجيش ـ



توقفنا لديها ·· وقفنا
(انتباه) لها ·· وعلينا الاستعداد ··
نزاول اعمال البناء والتشييد
والصيانة ·· فن اعادة الثقة ··
وتاكيد القيم والمبادىء ··
(ولدينا الكتاب والحكمة ووعد الله
قائما ·· تكون على مستوى
المجاهدين الاتقياء ··
عندما سار فى طريق الايمان ··
اضاف الى كفاءتة قدرات مبهرة ··
وجد بحره الحقيقى) ·
كانوا يعملون حقا كفرق الموت
بيننا ·· يعصفون بالجنود
والشعراء ··

ـ ولم نشترك بقتال ـ ولكن
كان لابد من ضحايا يتحملون وزر
الهزيمة عنهم (ويلقى بهم الى جوف
الحوت) ·

لكننا عبرنا تلك الآلام ·· لا تساوى شيئا امام جرح الوطن ··
ننضم الى النداء الساطع ـ أعادة بناء الجيش ـ نقف صفا واحدا ··
لا يهم ان نكون فى المؤخرة أو الطليعة المقدمه ·

تكفينا المشاركة ·· والدافع الى العمل ·· عزف النشيد لهم ··
تحصين مواقعهم والعناية بهم ·

نعود لنبع الالهام كل حين ـ أمنا خالدة ـ وقريتنا الصابرة ··
مئات الأمتار تبتعد عن القاهرة ·· لكنها منيعة ·· مبعدة ـ كانها خارج
الزمان وفى غير الزمن · فقر وجدب وبوار يحيط بها ·· وهى مازالت
صامدة ·

هجرتنا اليها كل حين تعيدنا الى الى التوازن والورع ·
نجلس امام خالدتنا امنا تحكى لنا أحداث الماضى البعيد والقريب ··
وامتداد الزمن ·
(تشترك فى السمات العامة مع جبلها الذى عانى كثيرا ·· قاوم

وانتصر) تحدثنا عن عذاب الفلاحين ·· محنة ضـياع الأرض ·· وموت الزروع والماشـــية ·· والمجاهدة من اجل الحفاظ عليها ··
ـ تصـر على اننا احسن حالا دائما ـ من القـلائل الذين لا يبكون على العصـــور الذهبية الماضية ·· تسلم وجهها للمســتقبل ·· توقن انه افضـل واجمـل ·

ابرزت يوما علبـة من خشـــب الورد ·· تحفة فنيـة معتقة ·· قالت انظرى : « كانت مليئـة بالجواهـــر يوما والذهب ـ حتى ربطـة ضفائرى كانت ياقوتة مرصـــعة (تتمثل بدلال وانوثة جمالها فى تلك السن الرائعة ·· تقـــول هامســـة « كنت جميلة ومتعدله » ··) ·

تســتمر : جزاهم الله كل خير اباءنا واجدادنا كانوا ـ رغم تدينهم ـ لا يورثون البنـــات ـ الأرض لا تذهب لغريب ابدا ··

المصوغات كانت ترضية كافية لنا ·· وامام اية ازمة او ضــــائقة كنا نفتح علبة الحلى ·· ونجـــد لنا مخرجـــا ·
ـ ومادام الانسان موجودا فهو الثـــروة والكنـــز والغنى · يمكن تعويض اى شىء ·· والبدء من جديد دائمـــا ·
المهم الخســــارة لا تحدث فى النفس مهما حصل ·

تختم حكايتها « بحكمة » دائما ·· نعود اصفياء انقياء من عندها ·· تشـــحن ارادتنا ·· تطهر ما وهن وما انحسر ··
(تصـورت وقفتها مع الاب ·· عـــدد المـرات التى فتحت علبتهـــا السـحرية ·· لتفك رهن الأرض او تعين على تعليم الأولاد ·· او ثقيل كارثة ·· تزدهر السنابل من جديد فى الحقل ويبرق فوق شواشيها الذهب) ·

●



نريدها كنا دافئا
مفاعلا لثروة النشاط والعمل
ركنا للالهام ومسرحا شيقا ··

(احبها تلك البيوت الخفيضـة
المضنية ·· رائحة الأرض تفوح منها ·
وآهات الصبر متصـاعدة ··
اود لو اعيش الف عيشة بينها) ··



قريتنا بحدود القاهرة ..
لكنها غائرة فى زوايا النسيان .. منفية خارج المدن (المرئيات تبدو ندية مبللة .. أتمطر فى هذا الوقت من السنة .. أم الذكريات تشد دمع العين لينهمر) ..

لحظات وألقى الأم خالدة ـ انتمى اليها بلا شك ؟

سألنى (زياد) يوما ـ من منهم أقرب شخصية اليها .. ؟
أجبت على الفور : أنا ..
دهش .. أخذ بعض الشىء ـ ضحكت ـ
وأنت من بعدى ـ وعلى سبيل التعاطف معك ..
هى أمى بالاختيار (مازلنا ننعم بحرية الاختيار ـ ولو داخلنا ـ ومازلنا نجد من نختارهم وننتمى اليهم بيننا) .

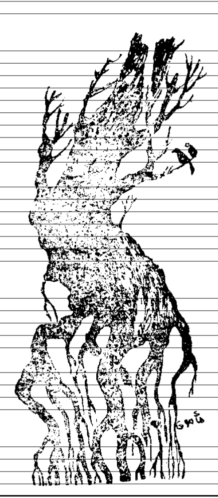
لحظة أن دخلت القرية اندفق عطر الأرض .. وصفق النخيل .. وتنفست أريج الأمومة الحانية .
توقفت أمام الفيلا التى يقيم بها فريق العمل ..

وجدت (أمل) تجلس على السلم الخارجى ـ تبدو كلوحة فنية آخذة .. تحدق بالأفق حتى أنها لم تلمح السيارة قادمة .

ـ ترقب رجلا يرش طريق العربات .. وكأنه من معالم الصورة فى قريتنا واحد شواهدها الحية القائمة .
ـ تصورى أتأمل الرجل منذ عدة ساعات .. يدور فى حركة دائبة .. يملأ الدلو من الترعة .. ويسكبه .. حسبت أن الملل بعد قليل يقعده .. يفتر أو تخور همته لكنه يعمل بهمة وحماس منذ الصباح .. يؤدى نفس الحركات فى اتساق ـ وكأنها رقصة مقدسة .
ـ وما ظنك بقريتنا يا عزيزتى ؟

انت بارض الصبر يا سيدة امل!
- الصبر تداعى المعانى لأرض مصر كلها ٠
- الصبر حاجز أمواج لنا ٠٠
(تنكسر عليه عنف الضربات ٠٠ هيج الأمواج ٠٠ دوامات الغرق) ٠
- وهو ما تقصدينه بقصة الفيلم ٠٠
كان يحكى لى يوما كيف يقيمون « حاجز امواج » قرب الشاطىء ٠٠

(جدار من الحجارة والصخر - وحتى تتكسر لديه الأمواج - وتصل الى الشط خفيفة ٠٠ لطيفة ٠٠ مهدهدة - يمرح فوقها الأطفال) ٠٠
اعجبتنى اللوحة التى رسمها ٠٠ فجاة اشتعلت بحسى واعصابى كلها ٠٠ هتفت لنفسى - اشتغل حاجز امواج انا ٠٠
- جزء من طبيعتنا وعملنا -
الفرق انى حاجز أمواج من اللحم البشرى ٠
قال : انت معذبة ٠٠
لم تخطر على بالى الصورة ابدا ٠٠
كيف يعمل عقلك من اين تنبعث تلك الصور المضنية ٠٠ أعطيت للمسألة للمسألة بعدا مؤلما ٠
(حاجز أمواج من الجسد الحى ٠٠ ليس سدا من الصخر والحجر ٠٠ كيان انسان مرهف الحس والعصب) ٠٠
تنكسر لدى الأمواج ٠٠
لا أدعها تنفذ ابدا ٠٠ تحطم ضلوعى ٠٠ تفتت عظامى ٠٠ تدمى نسيج الحشا ٠٠ وأظل صامتة ٠ ٠



فرقة مصدات الرياح والأمواج ٠٠ كلنا ٠٠ أمل وزياد وبلال وأمنا ٠٠
(فى الفيلم لقطة مكبرة لوجه أمل وهى تقول) :



ـ سقط شهيدا .. نهضت واقفة .. اشعر اني تحولت الى تمثال من الصخر .. ابتلع دموعي داخل المياه داخلي .. اصد عن عيالي نوبات الألم ـ حاجز أمواج انا ..
ما هذا الصمت ..

وهل ينام بلال في يوم كهذا !
توهج وجه امل بالحب ـ لم يمضيا معا بعد الزواج يوما او بعض يوم واخذوها الى المعتقل .
والقى بنفسه في عمليات فدائية متعاقبة ..

يجمعهما الفيلم بعد طول فرقة .
سحبت امل عينيها منشرودهما .. ومتابعتها لرجل الماء على الطريق كانما تتابع افكاري حولها .

ـ تخافين على من بداية سريعة للعمل ..
ـ السؤال في عيون الجميع .. لكني أعرف ..
ـ انتظرت اللحظة بشوق .. أجدني على المسرح مرة اخرى ..
كنت اتمثل الموقف .. واعد نفسي له .. اقدمها هبة .. هدية للدور .. اختار الأدوار الصعبة العسيرة التي حلمت يوما بادائها ..

واطلق حوارها .. لكي لا اجن او يتوقف عقلي .. كنت امثل لنفسي .. واتمثل مشهدا فائقا .. كل ذلك وأنا قابعة بركن منعزل .. واقصى ترف يمكن ان انعم به ان امد ساقي امامي ..

لا تخشى على شيئا .. كنت أواصل التدريب والمران داخل المعتقل .

ضحكت : نحن فريق البحارة المتميز ـ نكون على استعداد دائما .
بدات الحركة يضج بها المكان .. اصوات متدافعة ومتداخلة فعلها بلال وأيقظ الجميع ..

ضجة من الخارج ايضا مصاحبة • معدات تتحرك وكاميرات التليفزيون تاتى مبكرة •• الجميع كانوا يخرجون مندفعين الى السور الخلفى •• حيث أقيم ديكور مصنع كبير •• المذيعة تحاول أن تحفظ كلمات اعدت لها وتتمرن على القائها ••

بينما المخرج يوزع كاميراته على اماكن التصوير •• يعلو صوت المذيعة •• « قرية فرعونية قديمة •• تحضر اللقطات الأولى من فيلم حاجز امواج » •• هكذا تقول من ورقتها ••

القرية ليست على شاطىء البحر •• مجرد ترعة صغيرة كدنا ننقلب فيها •• وفهمت من بطل الفيلم ان الفيلم لا تجرى احداثه فى البحر ••

لكن التسمية تتضمن معنى الموضوع كله ••

ابحث الآن عن بطل الفيلم الأستاذ « عادل عبد الوهاب » ••

تسخر امل : لن تذاع كلمة واحدة من هذه الثرثرة •• المهم عادل فقط •• تشير المذيعة للجميع بالهدوء :



« كل ابطال الفيلم هنا •• نتمنى ان نلتقى بهم •• بلال المخرج المسرحى المعروف يتحول بهذا العمل الى مخرج سينمائى •• أراه يتحرك بسرعة « بيتعد » يرسل لنا « البطل » •

تبتسم امل : عرف بلال كيف يتصرف ••

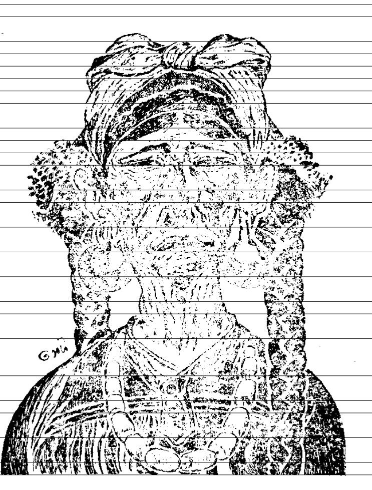
قدم لهم العملة الرائجة ••

– ربما من اجله جاء التليفزيون واهتم الجميع ••

ترحب المذيعة بالنجم فى فرحة طفولية غامرة •

– هل تقول لنا عن دورك فى الفيلم يا استاذ عادل •• ؟

– القصة تعالج اعادة بناء الشخصية بالحب •• دورى هو



المهندس المسئول عن بناء مصنع كبير ·· بارع فى عمـله ·· لكنه يعيش فى عزلة كبيرة ·· من خلال قصة حب مع مدرسة القرية يكتشف دفء العلاقات والاهتمام بالاخرين · وبتأثير الحب يتطور داخليا ويصـبح أكثر مودة ورقة ·· ويندمج مع الجميع ساعة الحدث ·

بلال ينادى ليستعد الجميع ··
فتى الكلاكيت يخبط لوحته ··
« حاجـز أمـواج : اللقطـة الاولى » ··
هدوء ·· كاميرا ·· استعد ··
تهرول المذيعة ناحيته ·· ممكن تكلمنا دقيقتين ··

يتقـدم بـلال من كاميرا التليفزيون ··

المذيعة : الأسـتاذ بلال المقدسى يتحول من المسـرح الى الاخراج السينمائى ··
ماذا تضيف الى السينما ؟
ـ سينما تقول الحقيقة ··
تتردد المذيعة ·· يتهدج صوتها بعض الشىء ·· تتلفت حـولها كمن تبحث عن مخرج ··
ـ ماذا تقصد بالضبط ؟

ـ السينما قوة هائلة ·· اداة نضـال بعيدة المدى ·· شـديدة الجاذبية ·· من المهم أن تعمـل هذه القوة لا من أجل التسـلية والمتعة فقط بل من أجل تعميق النظرة الانسـانية وتأكيد القيم فى المجتمع ·
ـ يعنى سينما واقعية ··
ـ سينما تسعى للصـدق ·· توحد بين مشاعر الناس ·· تعطيهم تحليلا فنيا لظـروف العالم الذى يعيشـون فيه ·· توقظ الضـمير العام ··

تخلق فيهم نوعا من الصـلابة الفكرية ·

ـ وتعتقـد ايه يميز عملك فى المسرح او السينما ·· ؟

ـ الصـدق ··

ـ الصدق الفنى يعنى ·· ؟

ـ السـينما ننظر اليها بمفهوم أنها جزء من الحلم ·· انا انسـان عربى فى حلمى ·· ويشـاركنى فيه آخرون ·· اصـور حلمهم فى حياة عادلة آمنة ·

السينما عندى مثل المسرح ·· شـريان حياة أتصل بها بالـدورة الفكرية والانسانية لاهلى وقومى ·

ـ ولماذا اخترت رواية نـور عـلام ·· ؟

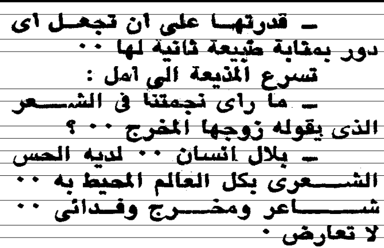
ـ لأنها تتنفس هـذه الحقيقة أيضا ··

ـ وامل هى بطلتك المعتادة ؟

ـ بطلتى الممتازة ··

ـ وميزتها فى نظـرك ؟





ـ قدرتهـا على ان تجعـل اى دور بمثابة طبيعة ثانية لها ··

تسرع المذيعة الى امل :

ـ ما راى نجمتنا فى الشـعر الذى يقوله زوجها المخرج ·· ؟

ـ بلال انسان ·· لديه الحس الشـعرى بكل العالم المحيط به ·· شـاعر ومخـرج وفـدائى ·· لا تعارض ·

ـ هل انت سعيـدة بدورك فى الفيلم ·· ؟

تنظر امل ناحيتى فى ابتسـامة مشـرقة ·· تبرق فى أعماقى « حاجز امواج انا » اسمعها تقول ··

ـ أؤدى دور امراة قـوية ذات عنف وارادة ·· تجذب روحا وحيدة الى الاندماج مع الناس والاحـداث ·· والمشاركة ·



(وهو دورك الحقيقى فى الحياة والفن يا صديقتى ·· قوية شجاعة مؤثرة ·· عبر عنها بلال بصدق عندما يقول : انها تجعل الدور بمثابة طبيعة ثانية لها ·· بوسعها ان تمتلك روح انسان آخر ·· تدرك عالمه الداخلى) ·

المفاجاة هو التحليل الذى قاله « زياد » عندما عدت اليه فى المساء ·· وانا احدثه عن يومنا الاول فى التصوير ··

قال : ان الطبيعة وهبتنا صفات كثيرة ·· وسعة ·· بعضها ننميه ويطغى ·· وصفات تبقى كامنة ··

وهكذا تصبح المسالة مسالة ابداع ·· انعاش وتحريك المشاعر الكامنة ·

ميزة امل ـ هكذا قال : انها تبلغ « قاموس البحر » فى اعماقها وتحرك مياهها الدفينة ·· فتنطلق روحا جديدة ساطعة ·· كالمد تصاعدت عاطفتى ومشاعرى (ها هو ينافسنا فى علمنا وفننا ـ وددت لو كان اصدقائى معى ·· يستمعون الى تحليل شخصية امل ·· والله ما سمعنا به فى كتب الفن وعلم النفس) ·

قلت : هو التحليل البحرى للشخصية الفنية اذن ··

هل تضيف فصلا جديدا لكتاب « الفوائد » ؟

ـ قلت لك يوما انتظرى حتى اضم مكتبتك الى خبرة البحار ··
ـ هى منافسة اذن ·· ؟

ـ علمنى البحر ان ادخل الى كن ـ وقت العاصفة ـ اهدىء حركتى ·· اغلق منافذ سفينتى ·· حتى تزول عن البحر غضبته ·· تسكت عنه الثورة ·· بعدها اطلع عليه واشق طرقتى وانا فى كامل استعدادى وقوتى ·

(لجـا الى كن فى بحر المعرفة ·· ولن يرضى باقل من منزلة الريان بيننا) ··

قلت : قلت له هو قانون بحـرى يصـلح فى الحياة والسـياسة ·· ومناورة الحرب ايضا ··

تمطى زياد ·· فتح ذراعيـه بشوق كانما يصـعد فرحا من مخزن المحار والحكى :

ـ الرؤية امامى تتضـح وتنجلى ··

(كان صـديقنا الابراهيمى يواسينا بعد الهزيمة ·· يشد أزرنا · يقول : حسى لم يخذلنى ابدا ·· مصر لن تضام ·· مصر قادرة وهى ارض مباركة ··

ستعود لكم الأرض ·· وتعود الملاحة للقناة ··

ـ احفروها باظافركم من جديد ـ لستم اقل من رعاع فرنسـا ـ نحن كنا بالجـزائر نتحصن بالجبـل ·· ندير قتالا من داخله ·· وحين ننزل الى القرى لنسترد النفس ·· كنا نعلم اهلها الكتاب والشـعر وسـبل المقاومة) ·



ابتسمت رغم قسوة الذكريـات

قلت لنفسى : تكتمل دائـرة الاصدقاء مرة اخرى ·· حول عمـل فنى ·· سعينا لنستقل بدفئه معا ·· حتى استاذنا الراحل سـيكون معنا ·· حاضرا وشـاهدا ·· نتمثل ما يقوله عن هذه القرية المدهشة ·· وما تصنعه بنا ·

ذكر لنا ذات ليلة على سـطح السفينة حيث يحلو الحديث والسمر ·· والقمـر يطل علينا بدرا ويثير جنوننا ··

اعرفهـا قرية الريان زياد ـ فى مدخلها تلتقى قبة كنيسة ومئذنة ·· مثل « فنـار الأخوين » ·· من النادر أن تجد تلك العناق فى مشـهد آخر فى



أى قرية مثلها · عـلامة مميزة ·· قرية مصرية فرعونية قديمة وحديثة معـا ·

(اشـــتاق لحديثى معه ·· انصت لتعبيراته وصـــوره داخلى مرئية ومجسدة) ··

– صوته يحوى دفئا واهتماما ودودا – صوت يعيش معك دائما ·· لا تزول حرارته ·

رحمـــه الموت ·· لو انه كان موجودا لاخذوه هو الاخر الى حلبـة الرقص الجماعي – حفلات الضرب – داخل المعتقل ·

ظل الى النهاية لديه القدرة على السخرية والمرح ··

– وبعد كل خطأ يأخذوننا ضحية لذنوبهم ·

قلت يوما والإبراهيمي بيننا : ننام على حافة اليقظة ·· لاننعم بامنة النعاس مطلقا ·

اشتعلت الصورة بذهن صديقنا الجزائري – صـورة مروعة وتورث الجنون ربما – السجن موقف موحـد أما أن تترك فى العراء هكذا ·· داخل سجن كبير ·· ومعتقل شـــاسع – مدينتك ·· بيتك او جوانيتك ·· حيث لا نجـاة ولا مهرب ولا تدرى من اين تأتيك المصرية القادمة ·· والناس من حولك اشـــباح ذاهلة ·· تتجنب الاقتراب او الاتصال ·· جزر معزولة موحشـــة ·

ترى هل بكى من اجلنا صديقنا بارض الجزائر ·· هل يرســل لنا اشـارة بصـــوته الحاد المرتفع وعصـــبيته المحببة الناقحة عن نقاء ثورى وقلق خصيب بامة العـــرب : عبثا يزرعون الخــــوف بقلوبنـــا او يجعلوننا ننهزم من الداخل ·

فى النصـــر تتركز حاجتنا ·· وهدف لنا ·· ومخرج ·

بدانا نتعرف على اهـل القرية ونزداد قربا بهم ·· وجود المجموعة الفنية كان حدثا هائلا ··

الأطفال يجيئـــون الينا ·· يحيطون بنا ·· يعلقون على عملنا – يحفظون جمل الحـــوار ببراعة ·· ويندهشون لكثرة اعادة المناظر ·

وجاءنا رجل الماء – كما اطلقنا عليه – ·· يحمل معه كل ما يمـلكه جردل الماء ·· وراديو صـــغير ·· ومنديل كبير به مربعات كرقعـــة

الشـــــطرنج وزاده من الخبز المقدد والجبن القديم واطراف السريس تطل من عقدته ·· مر علينا فى انتهاء دورته ·· واخذ يرقب ما نعمل بدهشـــــة وبلا اهتمام ـ اظنـــه يتعجب ان كنا نسمى ما نقوم به عملا ·· يبدو انه نوع من اللعب ـ ليس جـادا مثـــل عمله ·

وكما عجبنـــا نحن من مهنته ـ رجل ينزح الترعة بدلو صـــغير ويرش جســــرها ولا يهدا ولا يهن او تخـــور قوته طول اليـوم حـتى المغيب ـ اقترب زعق اكثر من الضجة التى تحدثها المعدات واللغط المثار ·

ـ انتو بتوع السيما ··
نفسي افهم بتزعقـــوا بالليـل ليــه ··
كدنا نضـحك ولم نفهم سريعا ما يرمى اليه ·· لكن الرجل كشـانه ياخذ ما يقول ماخذ الجـــد ـ ويريد ليوصل الينا شيئا هاما ··
ـ يعنى الواحد منا يفضـــل واقف طول اليوم او محنى على فاسه ·· لما يروح يبقى نفسه يسمع حاجه جميلة ـ غنوة حـلوة ·· حــدوتة تعمر المخ ·· يلقى صريخا وندبا وبكاء ·· وبلاوى تتحدف عليه من الراديو والتليفـــزيون قتل ودبح ـ حاجات تطير النـــوم من العين ·· حبكت بالليل يعنى كل النكد ·



بدت بيوت القرية متراصـــة ومتداخلة ونحن فى طريقنــا الى الام خالدة ·· قالت آمل :
ـ تمنيت دائما لقاء ام الريان زياد ·· خصــوصا بعد خروجى من المعتقل ··

وجـــدناها بجلبابها الابيض الداخلى ـ ليست معتادة على البقاء بالنهار ·· ولا استقبال الضـيوف هكذا ··
بدت طبيعية ·· وتتصرف على سجيتها ··
عرفت امل على الفـــور ··
رحبت بها واخذتهـا بين ذراعيها ··



وهي تسـلم على ٠٠ قالت تخاطب امـل :
ـ يرضيك صاحبتك تعمل فينا كل ده ٠٠ نحبها قوى ٠٠ ونقعـد في انتظار ان تهل علينا ٠٠ ايه رايك ٠٠ لازم كاتبة لنا بالحب ٠٠
ـ كلنا نحب نور ٠٠
ـ لا يا بنتى ٠٠ حاجـة غير عادية ٠٠ اصـلها كاتبة وعارفه وكلامها حلو قوى ٠٠ لازم كاتبة لنا بالحب ٠٠
اشرقت الدنيا من حولنا ٠٠
نوع من القلق الخفي ٠٠ لماذا تبقى في صـحن الدار بجلبابها القصير ٠٠ ؟
قلت : هل احضـر لك ثوبك الأسود من الداخل ؟
ضـحكت وقالت : لا ٠٠ انا حلوه كده ٠٠
اشهدت امل على مظهرها ٠٠
نهضت امل لتقبلها في راسـها وجبينها ٠٠
اتخذت سمت الجد ٠٠ اخذتنا في قلب حكاية واعرة ٠٠
ـ احكمي بالعـدل يا بنتى ٠٠ لنا قريبة بتشتغل وتجرى على اولاد يتامى ٠٠ فـلاحة بتزرع وتقلع ٠٠ لقيت جلبابها مقطوع ٠٠ منور ومبين لحمها ـ قلعت ثوبى واعطيته لها ٠٠ ايه اذنبت يعنى ؟
عملت خطـا ؟!
احكمي انت بالعـدل ٠٠ مزاحق ٠٠ انا قاعده في دارى ومقفول على بابى ٠٠ هي تطـلع الغيـط ٠٠ تحت الشمس والهوا ٠٠
لازم جلابية تسـترها وتحمي جسـمها ٠
زعلوا منى العيال الصـغيرين ٠٠ وحتى الكبـار ٠٠ قال ايه : كان لازم اعطيها جلباب قديم ٠٠ الجديدة غالية واستقبل بها الضـيوف ٠٠ يا سلام ٠٠ كان فيه وقت للتفكير ٠٠

محتاجة ·· تاخدها على طول وتروح شغلها؟ ··
وانا ادبر حالى على مهلى ·· ضيوفى حبايبى يحضرون من اجـلى ·· يريدونى انا ·· مش الجلابية ·

صممت اقابلهم كـده ·· لابد اعلمهم ·· عيب النظرة الضـيقة ··
انـدفعت امـل من جـديد اليهـا تحتضنها ·· اسـتدت ظهرى على الجدار ·· اتامل ذروة مشـهد عظيم ·· مسرح تلقائى بين ··

همست امل : من علمهـا ان الاشياء فى الاصـل ملك الناس جميعا (احساس فائق بالعدل ·· قسـمة الحق ·· شعور متالق بالمشاركة ·· المحتـاج لشىء يسـتحقه اكثر ·· والذى يعمل يجب ان يحصل على حقه كاملا ـ حقه فى الغذاء والكسـاء والاحترام وكفاية حاجته) ·

ـ امراة امة حقـا ·· لديهـا الوسع فى القول والعمل ـ تصـل من حولها بقضـيتهم ·· بحاجتهم الى العدل ··
يـدلها ايمانهـا ان المـال لله ـ ونحن مستخلفون فيه ·



ـ تنهدت امل بثقة : لا يستطيع احد ان يخضع شعبا الامهات فيـه يفكرن على هذا النحـو ·

ـ ٣ ـ

جلسنا ومعنا زياد ·· ودائرة الحديث تحتدم وتصـطخب ·· الام تتابعنا فى كل ما نقول ·· وتدير المعنى براسـها ··
(تذكرت بدايـة منى معنـا ·· كانت تقول انتم تتحدثون لغة خاصـة بكم ·· ولا ادرى هذا النقاش العنيف الذى يدور بينكم دائمـا ·· حـرام عليكم) ··
احس بينكم انى ضـائعة ·· غير فاهمة ··
تضـحك بدلال : كنت فى البداية ارفض عادل ·· لكن بمـرور الوقت احسست انى على الاقل افهمـه ··



اندفعت اليه ·· رغم غروره وانانيته ·
« منى » خريجة معهد الفنون المسرحية وتهرب من احاديثنا ·· والسيدة العجوز تنصت تماما ·· وتعى ما نقول وتطلع علينا بآرائها ·
قالت أمل : عندما صحوت فى الصباح ·· ظللت لعدة دقائق لا ادرى أين انا ··

ـ مازلت تذكرين الزنزانة ··
داعبت أمل الأم : ارجو الا تنزعج السيدة من فكرة انى كنت سجينة وتغير رأيها فى ··

اجابت على الفور : ده انا غيرت رأيى فيهم ·· حد يسجن الناس الأصيلة ·· المحترمة ·
مثلت بصوتها بلهجة مؤثرة :

مظلومة والنبى يا امى ـ الخطا فيهم أكيد ·· قالت لك ··
تابعت أمل وصف حكايتها : عندما تذكرت اننا فى سنديبس ·· قرية زياد ـ شعرت بنشاط وارتديت ملابسى بسرعة وخرجت الى الشرفة ··
وانا ارقب المشهد البديع ·· وجدته ··
ـ من ؟
ـ انسان

ـ من يكون ؟
ـ شخص ما ··
ـ انت معذبة ·· من هو ؟
ـ « رجل الماء » ·
(لم اشا ان افسد على أمل عنصر التشويق فى حكايتها ·· وتركتها تسترسل فى عرضها الشيق) ·
قال زياد : تسمية مبتكرة ··

لدينا فى البحر مهنة اســـمها (كاتب الماء) ·· يعمــل منـــدوبا للشركات البحرية ·· وتجده دائما فى الميناء ·· يأتيك بزورقه ويســجل ما تريد من معدات بحــرية وحبال وبويات فى دفتره ·

ـ لنحــاول اذن أن نجعــل من « رجــل الماء » لقطـــة فى الفيلم ·· أو عدة لقطات متتابعة ··

(بدا لى مشهدا مؤثرا موحيا ·· ورجل الماء يؤدى مهمته باتقان وصبر عجيب ·· كانه راقص باليه ·· أو فلاح قديم يؤدى صلاة مقدسة ·· وفريضه واجبة) ··

مصت السيدة شـفتيها : يتعب يا ولداه ·· ينهد حيله طول النهار ·· لا يمل ولا يكل ·· لا يزهق ولا يشتكى ·· ويرش الأرض ·· بس ياريت اجــره عـلى قد مجهوده ··

(تريد الأجر ليتســـاوى مع المشقة ·· يساوى الجهد المبذول فيه ·· رأس المال البشــرى الذى يبذله يعود اليه عائدا ماديا ·· ـ عـــدالة التفكير ـ وهكذا تأتيها الأفكار بسيطة ومباشرة ·· منطقية وواضحة) ·



طال صــمت زياد ·· يبدو أنه يجرى عمليات حســـــابية سريعة ومتأنية قبل أن ينطق ··

قال : المهم أن الرجل مؤمن أن عمله هام وضرورى وله نفع عظيم ·· بعد أن يطفىء الحــر ·· ويخمـــد التراب يســــترخى لحظات تحت الشجرة تحس به ملكا داخل مملكته·

وفى رايى ·· أيا كان العمــل بســـيطا او صغيرا « المهم أن تحبه ونعمله بطريقة غير عادية » ·

(الحمد لله ·· تعرفت عليه فى ذروة عمله ·· وروعة أدائه ·· وعبق شخصـــــيته المتميزة ·· كذلك أمل احبت فى بلال الاخلاص والفهم العميق لمعنى الفن فى حيـاة المجتمـــع ·· والاداء الانسانى) ··



قالت الأم خالدة : تعرفوا الضريح اللي في آخر البلد كان صاحبه نجارا بسيطا يعمل مطارح الخبز ·· كل يوم يشتغل من الفجر لحد المغرب ··

ضحكت امل : عملوا له مقام ومسجد من اجل هذا فقط ·· ؟

– كان رجلا متدينا وطيبا ·· يصلي بالناس كل اذان ·· الوقت بوقته ·· ويتقن عمله ·· عمره ما طلب ثمنا محددا ·· كان يقول : اللي تجودوا به ·· اما المحتاجون فيرفض ياخذ اى ثمن ··

المهم : أن صنعته البسيطة جعلها مهمة في حياة الناس ·· ووجوده نفسه محبوب بينهم ·· والناس كلها تتكلم عنه ·· واحسن وقت يقضونه بصحبته ·

ربنا كتب له العزة ·· والناس اكرموه ·· ويحلفوا بحياته لغاية الآن ·

لحق بنا بلال ومعه معين – الأخ الأصغر له ومساعده ··

– عرفت الدار من وصف نور لها ··

احسست بها تشدني « تجذبني » من بين الدور الاخرى · بسيطة متواضعة لكنها مميزة ·· حتى هواؤها نقي ··

وبمجرد الولوج من الباب تنسمنا ريح عراقة واصالة ·· كانما ضجة العمل ·· واللغو ·· وكل الضجيج يخرج دفعة واحدة من اذني ويسود سكون وهدوء ·· وراحة ·

قاطعة معين : خلي لي بعض الكلام اقوله ··

استمر بلال : نحييك يا سيدة خالدة ·· الآن عرفنا من اين ياتي الريان بكل تلك الشحنة من النور والسماحة ·· والجمال الداخلي ·

تنهد : كنا نشعر معه بامان ·· لا يعترينا ادنى قلق ونحن على مركبه ننام ملء العيون ·· فمعنا الريان زياد ·· مصدر ثقة وطمانينة كبيرة لنا ··

تعرفي يا سيدة خالدة ·

قاطعته : قل لي يا امي ·· ولا تقل على السيدة ··

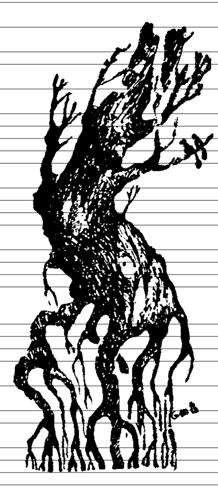
اطرق مبتسما وراضيا ·· احاطها بناظريه ··

اكمل : تعرف يا امي ·· اعددنا لهذا الفيلم جيدا ·· ومع ذلك تتواتر وتثور ·· وخلقت المتاعب منذ اليوم الأول ··
احتد معين : كله من عادل عبد الوهاب ··

يظن ان اثاره المتاعب ·· وعدم الانضباط يجعل منه ممثلا عظيما ·· على العكس ·· انا أرى انه اقل من الدور بكثير وكان يجب ان نتيح الفرصة لفنان جديد ·

قلت لكم اعفوني من العمل مع عادل عبد الوهاب زعمتم انه من فريقنا المسرحي ولا يصح تجاهله ويمكن تقييده ·
هو كما قال عنه الابراهيمي : لا يكون غير نفسه ··

يخلق المشاكل ويثير الفرقة والخلاف ··
قال معين وصوته يوحي باحساس الذنب :
ـ ربما يغار عندما رآني أعرض على منى بعضا من الصور
تردد بعض الشيء : وهي تعرف كيف تثير غيرته ·
ـ حذار معين ·· منى لها تطلعات فتاة عصرية ··



ـ تريد تحقيق حلم الثراء والاستقرار ·· وقصة حب صاخبة
ربت بلال كتف اخيه : انا لا اتدخل بعواطفك ··
ولكن كن على حذر ·· المراة وطن ثان لنا ·· خرجنا بالغضب من ديارنا ·· اخرجونا من أرضنا ·· فلا اقل من ان نختار نساءنا ·· حلمنا الممتد ·· ارضنا البهية تحمل اولادنا ··

قالت امل : عندما نعرف انسانا كما نعرف انفسنا تماما هذا هو معنى الحب والزواج ··
(التقارب والدفء والحنان ·· يمكن البكاء والحلم معا ·· تشعر انك مفهوم لدى آخر ·· هذا هو الرباط والزواج) ·



استمر بلال : نحن لا نختار
زوجة يثقل علينا .. تتعلق برقبتنا
.. تخنقنا .. تعوق حلمنا ..

(اختار امل واحبها .. واين
يمكن لانسان أن يلقى فنانة عاشقة
ومناضلة .. قادرة على الوقوف
بجانبه .. تشاركه حلمة ومتاعبه .
عندما تاتى له بابن يثق انها تحسن
تربيته وتعده لمهمته) .

سرى دفء جميل بالقاعة .. غمرتنا اشواق جارفة .. رغم جدية
الموقف والكلمات كنا اقرب للمرح ـ وقف معين يمثل الحيرة والتردد ..
ثم ضحك : لا تنسوا يا جماعة انى شاعر ..
ـ الفلسطينيون كلهم شعراء .
ـ علمتنا المأساة قول الشعر وضرورته .
معين يشعر بنشوه غامرة : قالها شاعر منفى مثلنا ـ ويا حبيبتى
انت انسان بنضالى .. وانا احبك .

زحمة وضجيج .. اصوات متشابكة ..
خلية نحل متداخلة .. اشخاص تروح وتجىء .. معدات
تنتقل .. عيون الكاميرا محدقة .
بلال يعترض : لا يوجد غير المخرج ..

الكل يسالونه .. اين انت يا معين ..
الكل يستعد من فضلكم ..
الكل مشغول بالفعل .. ولا يكاد احد يسمع .. ضيف كبير
من مسئولى الفن والسينما اتى ليتابع سير العمل .. عادل معه ..
يحييه بلال بسرعة وينصرف الى عمله ..

يقبل على منى محييا .. ويبارك لها .. تبدو مندهشة لا تدرى
عما يتحدث ..

ـ مبروك سمعت من عادل حالا ·· نبأ سعيد دون شك ·· كان لابد حدوثه من زمن ·

وبلا مبالاة تقول منى : آه عادل اخبرك ··

ـ خبر الزواج سيكون مادة للصحف ··

ويقول عادل : أحسن دعاية للفيلم ··

يسخر ضاحكا : ناس عندها حظ ·· حتى عندما تتزوج ـ كأنما من أجلهم ـ ويكسبون دعاية لأعمالهم ··

كان من الواضح أن هذا الثالوث الذى يتبادل الحديث والابتسامات كل منهم مشغول بشيء آخر ·· ربما بجبهة اخرى غير دائرة الكلمات المحيطة بهم ·

(عادل يتلفت فى كل الاتجاهات ·· يؤكد « أنا هنا » يود ان يجذب كل الانتباه ويلفت الأنظار ·· يحس انه مركز الكون ··



منى تبحث عن معين ليسمع النبأ وتثار غيرته ·· أو يصارحها بالحب ·· ويتصارع مع عادل من أجلها ··

والثالث ـ المسئول ـ كان يشغل رأس المثلث وقمته) ·

كان يبحث فى الحقيقة عما جاء من أجله ·· يتطلع أن تبدو « أمل » ··

ـ منذ وقت طويل وأنا أحس بالرجل يتابعها ويتلمس اخبارها ومن الواضح أنه يحتفظ بعاطفة ثائرة نحوها ـ وان كان يلتزم الحيطة والحذر ·

(كنت اعرف ايضا أن « أمل » متبينة الموقف تماما ·· وتشعر



بنظراته وتوهجـــه ٠٠ غير ان لديها
ألف سبب لان ترفض جراته) ٠
ـ خيـــل لى هـذه المرة انها
تبتسم داخل نفسها ٠٠ وعيونها تلمع
بزهو خفى ٠٠ وتحيط بهـا هالة دلال
٠٠ واحساس المراة المرغوبة المتمنعة
٠٠ لم تصارحنى امل بهذه المســالة
أبدا واحترمت صـمتها ٠٠ والحقيقة
أن صداقتنا تسمح بان يحتفظ كل منا
بجزء خفى ٠٠ او تعليق موصـد ٠٠
وجانب مغلق داخلى ٠٠ وان كنا نفهم
ونحس تماما ما يعتمـــل بداخلنـــا
ويضطرم ٠
(اعتقـــد ايضـــا ان غريزتى
ككاتبـة ـ ربما اخجـــل ان اعترف
وكانثى ايضا ـ تتيقظ كلما اجتمعنـــا
٠٠ واتابع تيار الوعى والمشـــاعرالكامنة) موقف درامى متاجج ٠٠
هل يمكن ان تتجـــه عواطفـكلشخص ترفضـــه فكريا ٠٠ وتعادى
سلوكه وموقفه ٠٠ ؟

اخيرا تبين ما جاء يبحث عنـه ٠٠ توجه اليها مباشرة (وخاصة انه
لم يرها منـــذ دخـولها المعتقـــلـ ولا يسمح لنفسه بالســؤال عنها
حرصـا على مركزه فى الحكومة التىتعاديها وتسجنها ـ موقف لا يحسـد
عليه) كنت فى منتصف الطريق بينهما ٠٠ اندفع الى بحرارة واهتمام ٠٠

(يدرك انى افهمه واتابع اللعبة الخطرة الشيقة ٠٠ غير ان ما يلذ لى
انه لا يكرهنى لذلك ٠٠
بل لولا منصـبه ٠٠ وكبرياؤه ٠٠ وخزيه من تقاعسه لحمايتها ٠٠
وصـــداقتى لبـلال لاعتـرف لىواســـتراح ٠٠
شعرت بخوف غامض فجاة ٠٠عـلى ان اوقف التفـكير والتحليـــل

لشخصية هذا الرجل ـ جذاب فى شره وخبثه وازدواجية موقفه) ··
ما اظنـــه من النـوع الذى يعترف ··
وان كنت اتـوق للحظـــــة المصارحة ـ لا ادرى كيف تجىء ··
أو متى ··
(اكتشفت ويا لذهولى ـ انى أتمنى عبور هذه التجربة ·· هـدات قلقى ومخاوفى ـ لابد انه احســـاسى ككاتبة) ··
اقترب الأستاذ عزمى من أمل ·
أخـذ كفهـا بين يديه ـ بدت كعصفور بشبكة صياد ـ ترفرف كى تخرج ـ وهو يسمح لها مرغما ·
كنت اشعر به يرقبنى ايضـــا ـ رغم انه ركز كل مشاعره فى يده ـ ربما يجـد عزاء لأنى أدرك حقيقـــة مشاعره ·
تدفقت الـــدماء بوجنتى امـل بدت كعـــذراء خجول لا تعرف ماذا تصنع بنفسها ··



ـ يبدو أن تجربة المعتقل زادتك بهـاء ··
عاد لها عنفها فجاة ـ من أجل هذا توسعتم فى المعتقلات ·· ليشـيع الجمال على مستوى القاعدة ··
قهقه ضاحكا (ضـحكاته تود لو تعتصرها وتذيب عنفها) ··
ـ تحدثينى وكانى المسئول ؟
لا يغرك مظهرى ·· انا ضحية مثلك تماما ··
جلجلت ضـــحكة اخرى ··
اقتربت منى : لا يمكن ســيادتك أن تكون ضحية أبدا ·· ؟!
ابتسم الجميع لقولها ··
ـ الشـدة ·· والتجهم احيانا



٠٠ مجرد « زى » نرتديه لزوم الشغل (كأنه يقول لها أنا شىء آخــر غير منصبى وشــهرتى وأنت كل ما أريده الآن فقط) ٠

قالت أمل : أو هو أحد الأقنعة ٠

همس : تعرفين أنى مقيد ٠٠

(مقاتل هذا الرجل ٠٠ يقتحم عالم أمــل ٠٠ يغـــزوه ٠٠ يدخـلـه كاسحا ٠٠ لكنه مقيد بالفعل ٠٠ يقع أســــير المنصب والنفوذ ٠٠ معادلة عسيرة) ٠٠

فرت أمل من أمامه ٠٠ اعتذرت بقرب موعد التصوير ٠٠

عندما غادرنا هو الآخــر ٠٠ قالت منى :

– المصيبة فى الأستاذ عزمى أنه « رجل » ٠٠ يقول عن نفسه « ضحية » ٠٠ ويعرف أنه صـــياد ٠٠ محارب ومتوحش ٠٠

(أدهشتنى منى بكل هـــذا الذكاء الأنثوى الفطرى ٠٠ مسكين « عادل عبد الوهاب » كان يبدو بجانب « عزمى » ضئيلا ٠٠ هشا ٠٠ لا يدرى معنى ما يدور حوله حتى داخل الفتاة التى يريد التزوج بها) ٠٠

دخلت حجرة أمل ٠٠

يشع جمالها ٠٠ مليئة بالثقــة (ترى نفســـها قلقة منيعة ٠٠ جميلة وواعية ٠٠ تحب زوجهـــا) كانت لا تنظر الى نفســـها فى المرآة ٠٠ بل تتطلع الى ٠٠

أخيرا قالت : كنت أثق بالدكتور عزمى ٠٠

أعرف أنه متعاطف مع موقفنــا ٠٠ ربما كان أحسن اختيار لهم لكنه هوى من نظرى ٠٠ أيام اعتقالنا ٠٠

(عرفت أنها وجـــدت مدخلا لذلك الجانب الذى حبست فيه حكاية خاصة بها) ٠٠

– قال ما معناه « جميلة وتحب زوجها ٠٠ ودونها الصــعب » وهو تقرير حالة ٠٠ يعرفه جيدا ٠٠

استـــــتمرت : يحمل لي عاطفةهائلة ٠٠ اعرف ذلك ٠٠ لكنه يعــرف اني « لعنة » ٠٠ « لعنة مقدسة » ٠٠خطر عليه وطموحه المستعر ٠٠

تجاهلني تماما ايام الاعتقــال٠٠ لم يبد حتى تعاطفــا (وهل يحب احد لعنة ؟) ٠٠

استدعاها بلال للتصـــوير ٠٠التفت يحدث مهندس الديكور :

ـ يبدو أن الاعـــــداد لعمليةعسكرية أهون من تصـــوير فيلم رغم ان الخطة موضوعة ٠٠ الا أن الجميع يلفون حول أنفسهم ٠٠

يتدخل معين : قلنا لرجـل الماء يستعد للتصوير ٠٠

ينفعل بلال : ومن قال لكم ٠٠ ؟

اريده أن اصوره على الطبيعة ٠٠ حركته التلقائية ٠٠ هل المفروض على أن أفســـد طبيعته وأحوله الى ممثل ٠٠ وربما تضـــعون الماكياج ايضا له ٠٠



يحاول المهندس تهدئته : الرجل لن يرضى بهذا مطلقا ٠٠

ـ من أعطاكم الاذن باخبـــاره اذن ٠٠ ؟

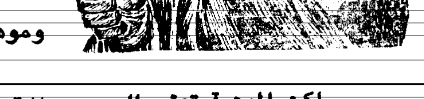
ـ لم يهتم بنا ٠٠ انصرف وقال كل واحد يعمل شغلته ٠٠ اســــتدار بلال ليمسك بزمام الموقف ٠٠

ـ هدوء من فضلكم ٠٠ لا اريد اى حركة ٠٠

يقفز « ديك » فجاة داخل المشهد ٠٠ ويصـــيح زاعقا ٠٠ يضــــحك الجميع ٠٠

ـ صور على الطبيعة اذن ٠٠

لقطة تجمع بين عادل وامل ٠٠ او بين المدرســـة والمهندس المعمارى



الذى يعيد ترميم المدرسة ويقيم فصولا جـديدة ..

ـ انت مسكين ..

ـ لهذا الحد ؟

ـ تفرض على نفسك العزلة !؟

ـ يوم العمل شاق ..

ـ انت مهنـــدس ناجح .. وموهوب ايضا ..

ـ الحمد لله اعترفت بنفسـك

ـ لكن الموهبة تعنى الحب .. الاقبـال على الحيـاة .. حب الناس ومعرفتهم ومشاركتهم ..

تدور حوله .. تقف فى مواجهته .. تتامله ..

ـ حتى عمـالك لا تعرفهم .. لا تسال عن احوالهم .. مشاكلهم .. اســـرهم .. انت لا تتجاوز حدود نفســك .

ـ لم يشك منى احد ..

ـ فى حـــدود العمـــل .. والتعليمات ومواد البناء .. لكن هل تعرف واحدا منهم .. ما حلمه .. تفكيـــره .. رايـه .. ليس لـــديك الحماس .. ؟

هذه الجفوة .. برود وقســوة من جانبك ..

ـ ده هجوم بقى ..

يطلب بلال التـوقف .. يذهب الى عادل .. « قلتها بحـدة يا عادل اكثر مما يجب » .. لا تنس انك تحبها .. وتحس بصدق رايها فيك .. قلها « بلهجة فيها عتاب » ..

مجرد مقاومة طفيفة .. انت فى منطقة جذب شديدة .. تحاول الدفاع عن نفسـك .. وتستسـلم للحب .. (حســاسية عالية لدى بلال وادراك لمشاعر الشخصـــية .. بلال يقود عادل .. يعطيه هذا الاحســـــاس الضـرورى بالأمان .. مخرج ريان حقـا) ..

ـ نعيد المشهد من جديد اذن ·

وقفت امل فى زاوية بمفردها ·· (اعرفها فى اللحظات التى يتوقف فيها التصوير ·· لا تسمح لنفسها بالاسترخاء ·· تظل مشحونة بالموقف ·· مشدودة الاوتار) ··

وقفت اتأمل المكان ·· عملية شاقة صناعة الفيلم ·· لكنها شيقة ·· (تصوير فيلم مثل عملية عبور المحيط ·· بداية شيقة ولكن لا تلبث المتاعب والاهوال تحيط بنا وتتطلب مواجهة وجهدا كبيرا) ·· الذى لا استطيع ان اهضمه الى الآن رغم دراستى لكتاب « تناقض الممثل » كيف تستطيع امل تصوير مشهد حب مع عادل عبد الوهاب ·· كيف وهى تصل الى ذروة الصدق الفني يمكن أن تتغلب على مشاعرها الشخصية ·· ورأيها فيه ·· ورفضها لأخلاقياته ووسائله ·

ومع ذلك « تحبيه وتقنع الجمهور بلحظة الحب الدافئة معه » ·

(ورغم تقديرى العميق لفن التمثيل الا انى لا استطيع معالجة هذه النقطة بالذات بيني وبين نفسى) ·

لم اكن لأنام هذه الليلة قبل أن تخبرنى امل ·· ووسط المجموعة سألتها هامسة :

قالت : اتفقنا من البداية ان الممثل الجيد يسعى لامتلاك روح ·· الشخصية ·· وجعلها طبيعة ثانية له ··

المسالة تتركز فى قدرة الممثل هذه ·· تحس نبض الشخصية الداخلى ·· لذلك انا المدرسة التى تحب المهندس وتود ان تخرجه من عزلته ··



حتى لو كان النموذج مختلفا عنه يمكن ان يتفاعل معه ويعبر عنه ·

ـ ذلك لانه يعرفه ··

ـ ويتعاطف انسانيا معه ··

ـ مصيبة لو انه لم يعد الى طبيعته الاصلية ··

ـ حدث ورأينا ممثلا لشخصية



« عطيل » ٠٠ لا يســـتطيع تجاوز الشخصية ويصيبه داء الشــك ٠٠ يفســـد عليه حيــاته ويكاد يحطم زواجــه ٠

– وربما فى حيــاته او واقعه ملابسات تماثلت مع ما كان يؤديه ٠٠ دخلت منى : ما هذه المناقشات المروعة ٠٠

تخابثت : من الخطـر الزواج بممثل ٠٠ أرجع فى كلامى ٠٠ مازلنا على البر ٠٠

عادل عبد الوهاب ضحيتكم ٠٠ مين عارف الى أى حد يندمج ٠٠ ؟

قال معين بحدة : اطمئنى فهو عاشق لذاته ٠٠ لا يمكنه تجاوزها ابدا ٠٠ ويكتفى بتمثيل نفسه دائما ٠

حاول بلال ان يزيل اثار حــدة أخيه ومنى تنســحب جريحة ٠٠

– النفس البشـــرية يا جماعة مليئة بالملكات والنوازع كل منا يعمل عملية بعث للصفات التى تقوم عليها الشخصية ويعزف عليها – كما تقول الأخت نور دائما ٠٠

قالت أمـــل : والتى تمثـــل « جوانيته » ســمعت الكلمة من امى خـــالدة ٠

قال زياد : كنت اقول لبحارتى ٠٠ عندما يكبر علينا البحر ويشــتد ٠٠ تكون أشد على أنفسنا من البحر علينا ٠

صمتنا جميعا ونحن نتأمل هذا العزف البحرى ٠٠

(البحــر عاطفته وحكمته ٠٠ومد اشواقه وحنينه ٠٠ صوته ينساب كالجدول الصافى ٠٠ والكلمات تخب بين أمواجه وشواطئه) ٠

عاد يقول : معنى ذلك اننـــا نستدعى القوة والصلابة والعزم ..
طبيعة الحدة والعنف .. كل ذلك للمواجهـــة وبعدها نعود الى طبيعتنا .. الســـماحة والمرح .. اللين والحنـان .. وقد يغنى البعض .. او يكتبون الشعر ..

(كدت أهرب يوما بعـد رحلة صيد وحشية عشتها بينهم .. لم أكن أعرف ماذا أصنع بنفسى وسط النزال والدم .. والشراسة فى جذب سـمكة هائلة .. ضربها بالحرية حتى يقل هياجهـــا .. يومها قلت لنفسى .. لا زواج ولا ارتباط) ..

كل ينتمى الى عالم مختلف ..
اقصى متعة يمكن أن أحلم بهـا ركن صغير وسماع معزوفة فائقة ..
كيف بى فى ساحة العنف والقتل ومصارعة وحوش البحر الدامية .
ضحك عندما لمس مخاوفى .. دون أن افصــح .. قـرأ فكـرى ومشاعرى .

قال : وما الموسيقى ..
ايقاع للطبيعـــــة .. يخفت ويعنف .. يشتد ويطغى .. ويترقرق صافيا .. انسجام بين أصداء الكون وطبيعة النفس ..
كيف بك تحيين البحر اذن ..
حبـا خيـاليا حالما .. العنف والصخب والعاصفة جزء من طبيعته

.. المهم هو الالتحام والقـدرة على المواجهة .. واكتشاف النفس فى كل الحـالات .

ـ ٤ ـ

« التفكير ســيرا » .. هكذا نسـمى جولاتنـا فى المشى للتفكير .
تبدو وكأنها نزهــات بريئـــة .. اهتمام برياضـــة المشى .. محاولة لدوام الرشاقة .. واعتدال القوام ..



ودفع الملل وآفة القعود ·· او مجرد تفضيل الحركة والمشى ·· والوصول الى مكان او غاية وحاجة بالمشى على الأقدام ··

لكن المسيرة هدف فى حد ذاتها ·· اذ كنا فى حاجة لهـــذه الحركة ونحن نفكر وندبر أمرنا ·· او نتبادل حوارا ذاتيا أو عاما دون ان نضــطر الى الحديث فى الحجرات ··

(اســـقف الحجرات كانت مرفوعة ·· والجدران مســـــموعة والنوافذ متداعية ·· مقهورة) ··

ولا يعود ذلك التصـــنت ·· والاقتحام لأهمية الشخصـــــيات أو الأحداث ولكن لمجرد العنت والمزيد من القهر ··

واحيانا بفعل « التســـــلى واللهو » بحياة الناس الخاصــة ·· وشئونهم الداخلية ·· وخاصية تبادل الحب ··

ـ وما كنا لندع اجهزة التصنت يعرفون مقدار عنائنا وهمـــومنا ·· الحيــاة تبدو موقوفة ·· والعــراب محيط ·· والأصدقاء داخل الحبس والاعتقال أو فى ساحة النفى والفرار ، ونحن اناس لنا كبرياء نحذر ان يروا فى أوتار صوتنا شرخة الم او يلمسوا فى « حـــوارنا الداخلى » اثرا لبكاء أو عناء ··

نبدو مشائين ·· متحركين ·· وان كان لاحد ان يتبعنا ·· فليشــق ويتعب ويفقد وعيه من اللف والدوران ·· دون ان يحصـــد شـــيئا ·· وكنا نعود بشـــحنة من النشـــاط والتوازن ··

المشى مرح ·· والطــاقة تالق وتفوق وقدرة على الاستعداد والمضى وانطلاقة عمل ·

امتع رحلات « السير للتفكير » كانت تتم بالقرية ·· نصـــحو مع الفجر المبكـر ونمشى الى الطــريق الزراعى ·· ولا نمل من الحـــديث والتفكير والمناقشـــــة ·· ونعود بحصيلة وافرة ·

ســـالتنى زميلة يوما : ماذاتقولون طوال الوقت ‥
الا يفـرغ الحـــديث ابدا ؟وما هذا الحوار المتصل •
(ينقمـــون علينـــا الكلمـــات المتبادلة ‥ حتى الحديث همســـا اصبح ظاهرة ‥ وحالة تســـتدعى الفضول والمتابعة) • •
قررنا ان ناخـــذ امل معنـــا فى مسيرة للتفكير ‥ فى طريقنا الى دار زياد حيث تدعونا امنا خالدة للغذاء •

تركنا بلال ومعين يشـــاهدان بعض الصور الأولى التى جاءت من المعمل على ان يلحقا بنا بعد ذلك •
توقفنا امام باب الفيلا بعد ان انتحى احد الصحفيين الشـبان بامل ليستكمل موضوعا لجريدته •
لم نكن نســـمع ما يقولان ‥ لكننا ادركنـــا ان حديث الفتى كان نكـــدا ‥

وقالت امل بحســـم وهى تقترب منا وتنهى الحديث معه • •
ـ لم اتزوج من « مخــــرجى الخــاص » كمـــا يقـــولون ‥ لكنى تزوجت من رجل شـــجاع ‥ وفنان يعمل بالاخراج •
لاحقها الفتى بكلماته وكاميرته ‥ هــــدأت بعض الشىء ‥ تنفست بهدوء ‥ عادت اليها ابتسامتها وهى تقول :
ـ نعم جذورى فى المســـرح ‥ والسينما هى المستقبل ‥
بدانا جولة المشى ‥
حاول زياد ان يخفف عنهـــا : تعرف ان امى خالــــدة قالت بالأمس رايا عظيما فى عملك ‥

(كان مجرد ذكر اسمها ينزل علينا بردا وسلاما ويجعلنا نتشوق لما تقول) ..

تطلعنا اليه ..

وكانه يبتسم لنفسه وينتشى برأيها ..

قالت : « كنت فاكرة يا ابنى ان السينما والتمثيل حاجة لعب كده تضحك الناس الفاضية أو تسليهم .. لكن اكتشفت انها مهمة .. ولها معنى .. ولازم بتأثر فى الناس حتى انهم يعملون حسابها .. ويخافون من انسانة مثل أمل .. لدرجة يدخلوها السجن .. بيقى بتكلم الناس عن حالها .. عن الوضع .. توريهم السكة الصح وتقدر تقنعهم » ..

قالت أمل بود : الله .. أجمل كلام عن مهمة الفن وغايته ..

ثم بحماس شديد : أرجوكم نسرع .. أنا فى شوق للقاء أمى خالدة .. أريد أن أتحدث معها .. أسمعها .. أشبع من طعامها وكلامها الجميل وحكمتها ..

أكمل زياد : وقالت ما هو أهم .

– لم تكن فى حاجة لأن يستزيد شوقنا وانبهارنا ..

« انها مطمئنة علينا طولما الصداقة تجمع بيننا .. وتجعلنا نرتبط ببعضنا » ..

أضاف بصوت عميق مؤثر : حقا اكتشفت من خلال مجموعتكم معنى الصداقة الحقة – لدرجة أنى أندهش كيف يحتمل ويواصل الحياة من ليس لديهم أصدقاء مثلنا .. ؟

تقدمتنا أمل .. أعطت ظهرها للطريق .. توجهت ووجهها الينا .. وبلهجة مسرحية وكانها تؤدى أحد مواقف مسرحية موحية ..

– هكذا تجدون أن صداقتنا « حاجز أمواج » متين لنا .. يصد عنا غائلة المحن .. وغدر الأمواج الطاغية .. ويسند ظهورنا ..

– بسياج من الحب والفهم المشترك .

تملكني شـــعور بالمـرح والانطلاق ..
مضى وقت طويل لم نمرح .. لم نضحك .. لم تتفاعل مشـــاعرنا وأفكارنا معاً ..
(احسست بحـــاجتي الى ان اقفز مثل طفلة صغيرة .. أن ارتمي على بساط الخضرة بعد سباق بهيج وجرى فرح) ..

وصـلنا بسرعة ..شـهيتنا تسبقنا ..
ـ هل تأخرنا عليك .. ؟
ـ خشيت ان يبرد الطعام ..
ـ ماذا اعددت لنا .. ؟
ـ خيرات ربنا كتير ..

قبلتهـا امل ـ قال لنا زياد عن رأيك الجميل بفن التمثيل ..
ضحكت الأم واحمر وجههـا ـ وكأنها صغيرة ضبطت تقول شيئا اكبر من تجربتها وسنها ..



قالت : اعــذريني يا بنتي ..
كنت فاكـرة انه حاجه لعب .. يعني غير الشغل الجد ..
لكن لما شـــفتكم .. طريقـــة تفكيركم .. وتعبكم .. واحســاسكم بكل الناس .. عرفت انه حاجة مهمة جـدا ..
اطرق زياد : بصراحة ..
انا كنت آخذ الفن السـينمائي والمسـرحي على انه نوع من الترفيه والتســـلية ـ يقرب أن يكون لهوا ولعبا ـ حتى التقيت بكم ..
صاحت أمل بمرح : قابلت نور في البداية .. ؟
نور هي المؤلفة .. يعني الموقف



والكلمة ·· وبعد ذلك ياتى دورنا ·· نتمثلها ونتقن اداءها ·· هدفنا ان نعبر عن الناس ·· آمالهم وآلامهم ··

نشترك معهم فى صياغة طريقة التصرف والتفكير الصحيح ··

كانت الأم خالدة تصغى باهتمام وعلامات الرضى تشيع على وجهها ·· قالت :

ـ تعرفوا ·· والأولاد صغار كنت دايما اقول لهم : بدل الواحد ما يغلط فى غيره او يسىء الظن به ويحكم عليه خطأ ·· ضع نفسك فى مكانه ·· اعرف ظروفه وجوانيته ·· ونظرته للأمور ·· يمكن تعذره ·· تراجع نفسك وتصرفك معه ··

هتفت ـ ونعم التربية يا امى ··

رؤيتك الحق ·· هى هدف الفن ·· نفس الغاية ··

كل طموحى انى اضع الناس فى نفس الموقف المعروض عليهم فى المسرح ·· يفكرون ·· كيف التصرف ·· وياخذون الموقف الصح ·· يختارون يكونون مع الحق ·· والخير والود·

انطلقت الأم خالدة بحرارة : لو كل الناس عملت كده ·· كانت تقل المحاكم والقضايا والخلاف والمنازعات بين الناس ·

ياريت يا بنتى الناس تعيش مع بعض بالمحبة وتراعى حقوق غيرها ·· وحدود الله ·

اقتربت أمل منها اكثر ·· تعرفى يا امى انا قبل ما ابدا تمثيل اى دور اسال نفسى : ماذا اريد ان اقول للناس ·· ومن الاجابة على السؤال ·· تكون حركتى فى التمثيل ··

سالتنا فجاة : ماذا كان استاذنا الدكتور زهران يقول لو انه سمع ما تقوله امي ٠٠ ؟

قلت : كان يؤمن بالتعليم عن طريق المسرح والسينما ٠٠ وجذب التلاميذ الصغار للتحليل الفني للعالم والأحداث وهو طريق التقدم ٠٠

قالت امل بتاكيد : كان يقول ان امنا « جامعة » ٠٠

اقبل بلال ومعين ٠٠ انضما الى المائدة فورا ٠٠

قال بلال : سمعتكم تتحدثون عن الأستاذ ٠٠ الدكتور زهران والجامعة ٠٠

بدلال قدمت له امل طبقا مليئا ٠٠ قالت :

ــ وجدنا في امنا خالدة ٠٠ استاذه « وجامعة » ٠٠

ــ هذا صحيح والله ٠٠

قال معين : وجدت في مذكرات بلال عن دروس الدكتور زهران ان غاية الفنان ان يسعى لمعرفة نفس انسان آخر ٠٠ فهم طبيعته وعالمه الداخلي ٠٠



هذا « الفهم » يقوى صيغة التفاهم بيننا ٠٠

ضحك زياد : الحمد لله المجموعة كلها تخرجت على يد الأستاذ ٠٠

ــ وانت من نفس « الجامعة » ٠

ــ لا عجب ان التقينا ٠٠ وارتبطنا بالحب كلنا ٠

اكد بلال : تم التفاهم منذ اللحظات الأولى ٠٠

اخذه الحماس : كذلك حالي مع سندبيس يا ريان زياد ٠٠ وقعت في هواها منذ اللحظة الأولى ٠٠ دخلت قلبي ٠٠



ردت امل على الفور : وما تقول بقرية أمي خالدة والريان زياد ·· ؟

ــ طبعا لكل هذه الأمور مجتمعة ··

ولكن · · هناك شيء أكثر ·· شعوري بالدور والناس ·· كأنها جزء من ارض البهية ·· فلسطين الحبيبة ·

(صوته يقطر بالبكاء) ··

لا اشعر بالغربة ·· بل شعور بالانتماء ·· وصلة حنان ·· (يطرق) ··

ربما لو مت قبل أن اعود ·· ولم يقدر لي أن يمزق جسدي الرصاص في معركة التحام ·· وجاءني الموت هنا ·· في هذه القرية المدهشة ·· سارقد في سلام ·

(ترقرقت الدموع في العيون) ·

معين يكاد يجهش بالبكاء ·· يقاوم ·· يحاول أن يقول الشعر ··

ــ وانا ايضا يضمني جزء من ارضها ·· واكتب شاهدا ··
ايها الفلاح صديقي ·· اذرف دمعة من اجلي ··
شاعر مشرد مات أخيرا بارض السلام ·

تدخلت امل : هل نفقد عزمنا وأملنا ··

يفيق معين : انا افضل خيمة امام هذه الدار ··

شهقت الأم : الدار تسع جميع الأحباب ··

عادت البهجة الى مجموعة الأصدقاء ·· قالت امل ·· يبدو اننا تاثرنا بجو الفيلم ··

قال زياد : الأحداث تؤثر اكثر ··

ردت الأم : الأرض أرض الله ·

هنا دخلت الخالة فريدة بصينية الشاي ·· دائما جاهزة وتبدو في اللحظة المناسبة ــ عندما يكون وجودها ضروريا ·· كان مجرد

ظهورها .. شهيدة مبتسمة .. حانية .. تعمل بصمت .. وتخدم بتفان ورضى عظيم .. مجرد ظهورهما عامل للهدوء .. وذهاب التوتر والانفعال ..

بدأنا دورة الشاى .. الأكواب الصغيرة والصينية النحاسية والابريق الكبير .. وحركة الأيدى .. فى رشفة واحدة .. ودور جديد من مشروب الأصدقاء ..

هذه المرة اقتربت فريدة من مجلسنا .. كان من الواضح انها سعيدة بوجودنا .. لا تهتم بما تبذله من مجهود مضاعف من اجلنا .. نهضت امل واقتربت منها .. حاولت الدخول معها فى حديث .. قالت :

« ان الشاى جميل .. ورائحته منعشة » .

اطرقت فريدة على استحياء .. تعمل دائما ولا تتوقع شكرا ..

اقتربت انا الأخرى .. اشعر بشوق دائما لكوب الشاى من يدك .. صاحت الأم من مجلسها — وكأنها تقف على تفكيرنا وتتابع حديثنا .



— فريدة لها نفس حلو فى كل ما تعمله .

همست فريدة بحياء عذراء بريئة وكأنها تودع الينا سرا ..

— فى بداية الزواج قال لى زوجى عندما سألته عن عدد ملاعق السكر .. قال .. أحبه مضبوط سكر مضبوط شاى .. ضحك زياد عندما سمع العبارة ..

— ده سر شاى أختى فريدة

اطرقت فريدة وعادت الى الصمت ..

استمر زياد ووجهه يضيء بذكريات : زوجها ابن عمنا ·· كان منضبطا فى كل شيء ·· اسطورة الوسط السعيد تماما ·· مثل الساعة الدقيقة يعمل كل شيء فى وقته ·· فى الحقل يقف ندا لعشرة رجال ·· ويستمتع بالراحة والغناء ··

انسحبت فريدة ·· جمعت اشياءها وغادرت القاعة ··

همست لنا الام : كان حنونا وطيبا ·· ربنا اختاره ومن يومها قررت فريدة ان تعيش لاولادها ·

قالت اكون لهم ابا واما ··

واحترمنا رغبتها ·

ويحنو متدفق : فيه ناس تحب تعيش من اجل غيرها ·· سعادتها فى انها تعطى ··

وفريدة من النوع ده ·

― ٥ ―

تاخر التصوير ··

جاء معين ليقول ان عادل عبد الوهاب مزاجه منحرف ·· وان هناك خناقة بينه وبين منى ·· وتهدد بالانسحاب من حياته ومن الفيلم ··

اخذ بلال فى التوتر ·· قال انه لا وقت لديه لفض الاشتباك ·· ويجب التفريق بين العلاقات الشخصية والعمل ··

همس لمعين : ارجو الا تكون السبب ·

كانت منى تقف امام باب غرفتها وتمنع عادل من الدخول ·· وهو يشتد حينا ·· ثم يضعف ويحاول مصالحتها ··

― من حقى ان اعرف ما يقوله لك معين ·· دائما اجده يهمس اليك ·

ـ رجعنا لموضـوع الغيرة ··
ـ من حقى اغار ·· خصوصاوانت تبدين غير سعيدة ·
ـ انا غير مستريحة ·
ـ والسبب ·
ـ انت ·
يحيطها بذراعيـه : وهـل اناسىء لهذه الدرجة ··
تحاول التخلص منه : ممل ·
يغضب بحق : وتقولينهـا فى وجهى ··
تحاول التراجع ··
ـ اعمل ايه ·· دايما ترجـع للشك اغلنك لا تطيق معين ·
ـ ولا بلال ·
ـ ليه قبلت الفيلم ·



ـ من اجلك ·· وانت فاهمة ·
تبتسم بدلال ·· يرفع صوته :
حددى موعد الزفاف ·
ـ بعد انتهاء الفيلم ·
ـ طيب انزلى معى القـاهرة
نسهر ·· نرقص ·· نعيش ·· بدل
الملل هنا ·
ـ كلهم عارفين يسـتمتعوا
بوقتهم الا احنا ·
ـ احنا غيرهم ·
ـ ليه بقى ··
ـ نوع ثانى ·· كمان قلة ذوق
منهم عدم دعوتنا لبيت الـربان ··
يحاولون دايما تجاهلنا ··



– انت دايما بعيد عنهم ولا تحاول الاندماج معهم .
– طبعا لا يوجد انسجام بيننا من زمان . وجهة نظرهم دائما غريبة .. وتفكيرهم عجيب ..
بذمتك ايه أهمية الرجل ده « يشير الى رجل الماء » .. كانه اسطورة وعثروا عليه .. ايه قيمة عمله وأهميته فى الفيلم ولا يعنى وجوده اصلا .
– مش ضرورى تفهم .. المهم انك بتعلب الدور الرئيسى ..
« يرش الماء فى طريق العربات» ايه الفن فى كده ..
– لقطة سينمائية جميلة ..
– طيب يصيد سمك أحسن ..
– أنا تعبت .. قل رايك لبلال او كمل التصوير الخاص بك .
تتركه وتنصرف فى طريقها الى الحديقة ..
يسرع خلفها ويمسك بيدها ليبدا التمثيل .
الممثلة العجوز تجلس وحيدة بركن منعزل .. تسند راسها الى السور .. وفمها مفتوح وكانها غائبة .. كتلة حزينة تنظر الى بعيد .
قالت منى : من الصعب سحب اى كلمة منها ..
تنهد عادل بشدة : لا أعطف على من يفرض حزنه على الآخرين .
– حرام عليك ..
– النوع الصامت مخيف .
– وانت عارف داخلها ايه .
– تحاول تتكلم .. تعبر .. تحكى مع الناس افضل من الصمت الرهيب .
– الرهيب هو انت .. عارف معنى ان اما تفقد وحيدها .. ياريته موت عادى .. مات من غير معركة .. احترق مع الآلاف غيره من غير مايأخدوا فرصة للحرب ..

حتى الام المسكينة تشتكى منها ·· وتقسو عليها ··
انا بدات بالفعل اخاف منك ·
ـ ده كان مجرد حديث معك ·· لكن انا مقدر ظروفها وصعبان على صحتها ·
اقبلت امـل ·· وداعبت منى الا تؤخر عادل عن التصوير ··
تنهدت منى باسى ·· وقالت :
ـ مظلومة من كل جانب ··
وحاولت الضحك والفرار من صحبته ·

٭

نزل عادل السلم شـــاردا ·· لم يلاحظ وقفة بلال فى بداية السلم حانقا ··
صاح بلال : ما الحكمة فى انك تختفى كلما اردنا التصوير ··



ـ كنت استعد فى حجرتى ··
ـ منذ الأمس وأنت تعرف اننا سنبدا بلقطتك ··
يتوقف معترضا على صـــياح بلال وصوته العالى امام مجموعـــة العمل ·· يخفض بلال صـــوته ·· يسير بجانبه وهو يشرح له اللقطة ·
« تمـر عليـك ايام ثلاثة لـــم تر فيها امل ·· تحس بابتعاد الكل من حولك ·· تحاول السؤال عنها ·· وتعرف ما حدث ·
اهم شىء الا تؤدى المشـــهد عاطفيا فقط ·· لاحظ انها لحظـــة التغيير والخروج من العزلـــة الى الاهتمام والمشاركة بما حولـــك ··



لحظة بمثابة الميلاد الجديد ·· الميلاد المشـــترك » ··

تعود أمل بعد ان اصلحت من زينتها ·· تنتحى جـانبا وهى تتمتم بكلمات ·· يبدو انهـــا تتلو بعض الآيات ··

عندما اقترب منها اجدها تقف امام شجيرة صغيرة ·· اجدهـــا تحفظ دورهـا ·· وتردد بايقـــاع مؤثر وهى تكاد ترتعد ··

« المهم أن نخــرج من دوامـة الحزن بسرعة ·· علينا ان نفكر فيما يجب عمله الآن ·· لن ننسى احباءنا الذين استشهدوا من أجلنا ·· علينا أن نثبت أننا جديرين بحبهم » ··

يقبل مدير التصوير ومعين علي بلال يهمسان له ببعض كلمات ·· يستدير بلال ·· ارجوكم نؤخر تصوير المشهد بعد قليل ·· ونصور لقطة « ماما سكينة » ·

صمت الجميع ·· تحـــولت الكاميرات الى الجـدار الخلفى من الفيلا · الممثلة العجوز تجلس ساهمة ·· تجمدت فى مكانها (اتخذت هيئة تمثال منحوت من الحزن والألم ·· كانها لوعة تجسدت ··)

لاتبدو واعية تماما بما يجرى من حولها (هى أم شهيد حقيقى اغتيل خلال الهزيمة ·· كادت تفقد عقلها ·· جنت حتما عندما عرفت أنه مـــات غدرا ·· بلا معركة ·· اصيبت بما يشبه الشلل ·· نتج عنه رعشة فى اليد وجانب الفم ·· وصــــعوبة فى النطق) ·

اعتزلت العمـــــل ·· ولزمت قريتها ·· اقامت بالمبلغ الذى صرفوه لها مسجدا ·· وزاوية لتحفيـــــظ القرآن ·· وهى تقدم للصغار الرعاية ·· والطعام والاهتمام ··

اقنعها بلال بالقيام بالـــدوربمجهـود مضن ‥ وافقت عنـــدما عرفت أنه نفس دورها فى الحياة ‥ وأننا نحترم صـــمتها ـ فلن تنطق بكلمة واحدة ـ كان يستحيل سحب‌أى كلمة منها ـ

كانت السيدة ترفع رأسها من‌حين لآخر ‥ كانما تستيقظ فجاة من لزوجة الصمت الذى أغرقت نفسهافيه ‥ تبدو وكانها تطل على الحياة وهى خارجها تماما ‥ فى عالم آخر ربما ‥ لكنه قريب ‥ على الجانب الأخر ‥ عند البـــرزخ ‥ ونحن‌نتحرك امامها كاننا كائنات هلاميـة ‥ ترانا لكنهـــا لا تعـــرف معنى‌حركتنا ٠

واحيانا تطل فى عين الكاميرا ‥ تبدو وكانها تنسى الى لحظة همها وحزنها أو تضعه فى مقدمة الصـــورة، كانت تملأ الاستديو بالود والحنان ‥ تداعب الجميع وتدللهـــــم ‥ ويدعونها « ماما سكينة » ‥)
لكنها وقعت فى هوة الصمت ٠

احسست بنوع من العـــزاء عندما أدركت انها لم تعد هامدة تماما مثل ايامها الأولى ‥

سجل لها بلال لقطات من جميع الزوايا ‥ تنبهت قرب النهــــاية واشارت له بيدها ‥
صاح : قطع ‥

وتوجه ناحيتها ‥ مال عليها امسكت براسه وقبلته وسالت دموعنا جميعا ‥

جاءت منى ‥ قالت هامسة :
ـ هل ستمضى عمرها هكـــذا صامتة ٠

قالت امل : معجزة ويعود اليها النطق ‥
ـ وهل يعود ابنها ؟

قلت بوحي اللحظـــة : يعيده
اليها النصر ٠

هتفت امل : كنت ادعـــو الله
ـ عندما علمت ماساتها ـ ان يريحها
الموت ٠٠

ولكني الآن ـ بعد كلامـــك
يا نور ـ ادعو لها ان تعيش حتى ترى
النصر ٠٠ وتشعر معنا ان تضحيـة
ابنها لم تكن بلا ثمن ٠٠
قالت منى : يارب ٠٠

الهمها الصبر ٠٠
(الصبر حاجز امواج لها ٠٠
ولنا ٠٠
الصبر الخصـــيب ٠٠ حيث
نعمل ونجاهد لنسد الـــذنوب ٠٠والعيوب والخطايا ٠٠ ونقيم النصر)
عادت امل تقول : لكن وجودنا حولها جعلها بالفعل احسن ٠٠
تجيء كل يوم تقريبا ٠٠
وتستمتع بوجودنا ٠٠ وتعرف حبنا لها ٠٠
ويمكن ان تتحدث الينا يوما ٠
هتفت منى : اموت واسمعها تتكلم ٠٠
ياريت تنادى على ٠٠ او حتى تشاور لى ٠٠
ـ انا شـــخصيا كتمت نفسي وهى تشير لبلال ٠٠
خيل لى للحظة انها ستطلب منه شيئا ٠٠

ولما اشارت اليـــه ان يخفض راسه اكثر ٠٠ حسبت انها ستهمس
فى اذنه ٠٠
ـ شـعورى ٠٠ انه لن ينتهى الفيلم الا ويحدث شيء ما ٠٠

– فى الرواية فيه معجـــزة بالفعل ..
من يعرف ربما تتحقـــق فى الواقع ايضا ..

– ٦ –

صحونا مبكرين .. كان علينا تصوير بعض اللقطات التى تسبق خبر استشهاد أحد أبناء القرية ..

المناظر توحى بالسلام والدعة .. والقرية تبدو وكأنها وجدت من اجلنا – مطابقة لما نريد – مساحات خضرة متنوعة .. كأنما اللـــون الأخضر يتصاعد على درجات السلم الموسيقى .. ويكون لوحة رابية ..

الأشجار فى قريتنـــا تقف شامخة .. صابرة مجـــاهدة .. يشب من بينها برج الكنيسة والمآذن الفارهة .. وأبراج الحمام عالية .
(رقعة مثالية لما نبغى قـــوله بالصورة .. ومعبرة عن احساسنا وتفكيرنا .. قلت : وكأننا بفيلـــم تســـجيلى عن روعـــة الريف وسكينته ..)
وقال بلال : لم اجد صعوبة فى اختيار اماكن التصوير ما على سوى التجول بالكاميرا ..
ثم يجىء النبأ كالصاعقة ..
– يتغير الحال تماما ..
– ينسكب الحزن بين الحقول .
– ينساب الألم فى الأزقـــة الضيقة .
– وتصفق الاشـــجار مولولة .. وتهب الريح غاضبة ..
قطب بلال جبينه وقال : وكأن الطبيعة تشـــارك الناس الحديث الأليم .. (تذكرت ما قالته لى أمى خـــالدة حين فقدت ابنهـــا الأكبر –



ازينت له السماء يا ابنتى .. وبدت جميلة صـــافية .. ورايت الملائكة بعينى أجســـاما من نور تتحرك فى السماء مرحبة) .

صحت فجأة لبلال :

– المفروض ان « المقابلة » فى الصورة تكون بين الهدوء والسلام المخيم على القرية الوادعة .. وبين مظاهر الحزن والجزع والحـــدث المزلزل لأهلها .. المقارنة بين الدعة والســـلام وويلات الحرب واجتراح الثبات .. الفكرة الاساسية للفيلم .. هى اظهار كيف تلتحم القرية أمام الفاجعة .. وتتوحد بالالم والغضب والثورة من اجل شهيدها . يجىء الموت عنيفا مضنيا كأنه ثورة .

حتى المهندس المنعزل فى قصة الفيلم يندمج مع الناس للمرة الاولى فى حيـــاته .. ويوجه فريق عمـــالة للاسراع فى بناء المدرســـة الجديدة لتحمل اسم الشهيد .

يتغير أسلوبه تماما .. يجلس وسط عماله .. يتعرف عليهـم لأول مرة .. يسالهم عن حياتهم وعيالهم .

يذهب معهم ليقدم العــــزاء لأسرة الشهيد .. يجد منزل الاسرة مهدما فيقيمه .. ويشترك الجميع فى عملية البناء .

المدرسة تقوم بدورها الرائع بين أهل القرية .. وتنمو قصة الحب وتتعمق مع تطور شخصية المهندس ونضجها .

الكل يقدم ما لديه .. رغـــم الحزن واحساس الفقد والقلق مـــن اجل سائر المقاتلين .. والــــذين يتدربون لقتال ومن يستعدون لعمليات الفداء والاستنزاف .

كانما مس القرية روح جـديد ·· شخصية من التمرد الـــروحى الخصيب ·

(نزلت الى التربــة ·· بذور النصر المقبل — مع جثمان الشهيد ·)

الحديقة الخلفية للفيلا يجتمع بها فريق العمل للتصوير ·· زرعت بها بعض شتلات الزهور ·· لتبدو مشرقة ··

وتتناقض تماما مع جو الحرب والقتل والانباء المفجعة ·

« ماما سكينة » بطرحتهـــــا البيضاء تجلس فى مقدمة الشرفـــة ·· تمسك بيدها ثوبا لصـــغير ·· تتامله ·· ترتعد يدها ·· تمسكهـا باليد الأخرى لتمنعها من الرعشة ·· تبدو عصبية وقلقة ·· ولا تستطيع القيام بأى عمل ··

تقف « منى » — وهى تمثـــل زوجة الشهيد — تتامل عرية طفلها ·· ويستبد بها الشوق والقلق ··

تؤمن بمعجزة رجوعه ·· تثق بعودته اليها ·· وتود تهدئة الأم ··



— تشفق على معاناتها فى مثل هذه السن — وتحاول أن تعتنى بها ·· « امل » اخت زوجها — وتعمـــل مدرسة — هى التى تبدو متماسـكة ·· وتنهمك بجدية فى العمل — وتعليم الصغار والاهتمام باحوالهم (تؤمن انه من خلال العمل والمشـــــاركة نستطيع ان نبنى انفسنا من جديد) ·

الكل يحرص على مشـــاعر « ماما سكينة » وتتحرك حولها بحذر وحرص شديد ·

وكانت تؤدى دورها صـــامتة ·· كانت تقول كثيرا بهيبتها وصمتها ·· وتبدد نظراتها ··

(الهمتنى جلستها تضــــمين
المشهد ثوب الصغير بين يديها كأنما
تتنسم ريح ابنها ولكن يوحى المشهد
بان الشهيد لم يمت ‥ خلف طفلا
يكبر للقضية ‥ ويطالب بالحق ‥
ويشب على قيم العدل والحرية) ٠
حكت لنا منى كيف اعــادت
تصوير المنظر حوالى عشر مرات ‥

– جلستها توجعنى ‥ عيونهامشدودة الى امام ‥ كأنهــا ترقب شيئا فى الافق ‥

تقول : انبنى الاستاذ بلال ‥ لأنى نسيت نفسى وبكيت ‥ صدقونى شعرت فجأة اننى لا اقوى علــى مواجهتها ‥ أحسست بحـــاجتى للبكاء وانا لا استطيع أن افعل حيالها شيئا ٠

تدخلت امل : طلبت من بـلال الابقاء على هذه الصورة ‥

فى رأيى انها من اهم مشاهد الفيلم ٠ وعلى الطبيعة – كان الموت « حاضرا » بيننا وشـــاهدا ‥ – وكأنه شهيد حى ‥ فى خلفيـــة المنظر – والسيدة تجســـيد حى للمأساة داخلنا ومن حولنا ٠

تقدمت منى واحتضنت امـل بشدة :

– كل يوم يمر نكتشف كم انت رائعة يا امل ٠

وبمجرد أن انتهينا سارعنا الى دار زياد ‥ لاقانا مشهد فريد بفناء الدار ‥ نسوة ثلاث حول طلمبــة الماء فريدة تلبى كل الطلبات – بمــا فيها المساعدة على حمل الجــرار – وكأنه واجب مفروض عليها ‥ تترك ما بيدها وتنزل لتعين النساء ٠

(ليس بيننا رســـام ٠ والا لكانت لوحة مبدعة من سبيل امنــا خالدة –) ٠

– كل الدور تقريبا بها مياه ‥ ولكن تسرى بين النسوة حكـــاية ان طلمبة امى خالدة تحتها عين جارية – قال لهم شيخهم انه كنز من الماء

(فيها حلاوة ربانى ·· مذاقهـــا كالشهد ·· الشرب منها فيه شــفاء وبركة يزيل الأوجاع والسقم) ·

يفعلون كل شيء بمياههم ··

ولكن عندما يلزم ماء الطعام والشراب والرغبة فى الشــفاء ·· فانهم يفضلون العين الجارية ·

كل يوم تكتشـــف جديدا من سحر الدار المعجزة ··

(اكتشـفنا كنز الماء ·· ونبع الحب والحنان ·· والحكمة الفائقة)

وكما لاحظنا من قبل « الأخت فريدة » تحمل عبء الدار كاملا ·· وتدور فى حركة دائبة ·· تقوم بكل العمـــل صامتة ··

(هى ايضا شـهيدة ·· وتلزم الصمت ·· وتبدو راضـــية) ·· تقـدم الطعـــام ·· وتوقـد النــار ·· وترفع الآنيــة · ·ولا تكاد تجلس معنا أبدا لأنها من فرط الجهـــد تنام عنـد الغروب ·· وقد تقوم ــ فى عز النوم والليل ــ لتقدم وجبة ساخنة ·· أو فطيرة شهية وواعدة بمجلس سمر يمتد للصباح ·



تقول عنها آمها : هى عمـــود البيت ·· تصلب ظهر الدار والأولاد ·· وهى مثل الجمـــل ·· حمـــالة الهموم والأثقال ·· لا تشكو ابدا ··

ــ حتى عنـدما تلقى الموت ·· تموت واقفة ·· تسقط من طولها ··

●

دخل زياد ومعه بلال (تمثالان قدا من صخر ووجوم) ··

صـــــرخنا : ماذا جرى ·· ؟ ما الخبر ؟

استند بلال على الجدار ..
اسرعت أمل تهز زياد : ماذا حدث ؟
ـ هل شب حريق فى موقع التصوير .. ؟

(انشق البحر .. انفجرت السفينة المهجورة .. تلاشت السفينة البيضاء وهى جاثمة ..) الصمت

يخلع قلبى .. وعقلى توقف عن التفكير ..
صاحت أمل فجأة : هل ماتت « ماما سكينة » ؟

انخرط بلال فى بكاء حار .. زياد كان واجما ..
أطلت علينا امنا من سطح الدار ..
ـ فيه ايه يا أولاد ؟
صمتنا جميعا .. ونحن لا ندرى ما الخبر ..
أشارت اليه بالصعود ..

تحرك نحوها .. عند بداية السلم الخشبى توقف فجأة .. هز رأسه حائرا ..
ـ كيف لى ان أخبرها .. ؟
لم نسأل ماذا جرى .. ثمة كارثة احاطت بنا .. عاصفة دمار .. رعب وقع فى البلد ..

قال بلال : استشهد أخو الريان .
بلا ارادة خبطت أمل وجهها ..
ـ ما كنت لأعيش حتى أحضر هذه اللحظة ..

أطلت علينا من فوق السور .. على السلم ـ بدت كأنها جسر معلق يكاد يهوى من أعلى ..
رفعنا وجوهنا اليها فى هلع ..
ـ مالكم ؟

اخذت تهبط الدرج .. يئن تحت قدميها .. يهتز ويصــــدر صريرا متضافتا ..

(بدت كبيرة فى السن .. شاخت فى لحظة .. شـبكة متماســكة من التجاعيد) هل تسقط جثة هامدة .. وعلى اعيننا ..

تتلاشى وتطير .. تختفى فجاة من على السلم ـ بدت كطائر معـذب .. جــريح يريد ان يحلق عــاليا ــ ولا يمكنه الطيران ..

عندما صــارت فى مواجهة زياد .. تنهدت .. اخذت شهقة من الهواء شاقة وواهنة .. لم تحملها ســاقاها .. جلست على الدرج .

ـ وتتحمـــل كل ده لوحـــدك يا ابنى .. ؟

قل .. خفف عن نفســــك يا ولدى .. امك صابرة ..

رفعت وجهها الى الســماء .. غابت لحظات ..

رفعت اصبعها : عمود صبر من هنا للسماء ..

خذلها صــوتها وصبرها .. وانفجرت فى البكاء ..

زحفت القرية على الدار ..

سعت الجلاليب الســوداء من كل شـــق وزقاق .. تصـــاعدت الصرخات .. والنشيج المكتوم خلف النوافذ والأبواب .

صــــفوف افترشت الأرض فى الفناء .. جموع ســـوداء تندب .. جمل منظـــومة من الجحيم .. ثم يتوقف الايقاع .. وتلتحم من جـديد مع البكاء .. تنسحب الى حد الأنين .. ويبدا النغم الحزين ..

يشـــتد ويقوى ويعصــر القلب فتنهض بعض النساء فى حلقات يقفزن ويلطمن الخدود حتى يهـدهن التعب والاغمـــاء .. ويجىء الدور على الاخـريات ..

قالت امل : لا احتمل الموقف .. ثم ان التصرف على هذا النحو



عيب ولا يليق بالشهادة ـ يفسـد
عمل الشهداء ..
ورات ان تتدخل دون الرجـوع
الى احـد ..
وقفت وسط الفناء .. ارجوكم
يا سـيدات .. الميت شـهيد ..
ولا يصح ان ترتكب هذه الأفعال ..
هذا حرام .
تصـدت لها امراة مكتظة من
وسط حلبة الرقص المحموم ..
ـ حزننا غيركم يا اهل مصر ..
ـ حزننا واحد .. مصـابنا
جميعـا ..
لكن المصيبة تبقى اكبر لو عبرنا
عن حزننا بهذا الشكل .

ـ دى تقاليدنا وعاداتنا يا ستيا ممثلة ..
امراة عجوز تشد فسـتان امل .. تضطرها للجلوس ..
ـ سـمعتى يا بنتى عن حزن سندبيس ؟

دى حاجات من ايام الجدود .. هو حزن الأيام دى حزن .. كنا نحط « النيـلة الزرقاء » ونخرج بالدفوف .. وشـعورنا محلولة .. ده زينة الشـباب ..

شـب جنون الحزن واندلع الصراخ .. خشـيت ان تتعرض لها النسـاء .

لم تياس امل .. صـاحت من جديد ودموعها تسيل :
ـ يا جماعة البطـل مات من أجلنا .. من أجل أن يضمن عيشـة كريمة لنا .. وحيـاة من غير ذل ولا ضعف ..
هدوء مباغت للعاصـفة .. استمرت .

نترك التقاليد الســــخيفة ٠٠ والندب الحرام ٠٠ نفكر نعمل ايه ٠٠ نكرمه ٠٠ نفكر فى امه ٠٠ فى ابنائنا جميعا هناك ٠٠

ران صمت غريب ٠٠ شــعاع من نشيج مكتوم ٠٠

فجأة اقتحمت البوابة « الندابة العجوز » ٠٠

جاءت مولولة ـ انا « خبازة » وكنت تبت عن الندب يا ناس ٠٠ لكن كله الا خالد ٠٠ زينة الشباب ٠٠

« ويا عينى عليك يا خويا من الغياب ٠٠ والبيات بره » ٠٠

وتعالت بعض الأصوات مرددة ٠٠ لكنها أقل فى العدد والارتفاع ٠٠ وأتى الايقاع على استحياء ٠٠

تشجعنا ٠٠ قلت لها يا خالة أفيد انك تعــودين لخبز العيش ٠٠ عمل تقومين به وقت الشــدة ٠٠ وواجب للعزاء ٠٠

تقــدم بعض الرجـال الى الشــجرة فى جانب الفناء ٠٠ وثبت فوقها مكبر الصوت ٠٠ وجاء الترتيل لآيات بينات ٠



— ٧ —



تأملنى زياد ٠٠ كأنما أفاق من اغماءة طويلة ٠٠

ـ كنت اخشى عليه من وطــأة الفاجعة ٠٠

اعرف ما يعتمل بداخله ٠٠ أود لو يتكلم ٠٠ يفصح عن نفســه ٠٠ يبكى أو يصرخ ليخفف من أحزانه ٠

يعذب نفسه (احساس بالذنب لا ذنب له فيه) لماذا ليس هو ؟

تمنى لو يفتــدى اخاه ٠٠ يستشــهد من أجل مصر ٠٠ يضحى بنفســه ٠٠ ينقذ الآخرين ـ هكذا كان يجب أن تكون نهايته ٠



الـريان لا يترك ابدا مركبه ·· لا يتركها للعطب ·· يدافع عنها حتى النفس الأخير ·· يفضـل ان يغوص معها بعد انقاذ الجميع ·

قال بصـــوت واهن وشـــبح ابتسامة مريرة تلوح فوق شفتيه :

– قلت يوما ان أحزاننـــا تاتى مركبة ·· بصـيغة مضاعفة أكبر من حجم الالم العادى ·· وطبيعـــة الحادثة ·· اذ تتحمل ونواجه وجوها أخرى للمسألة لا تخطر على بال بشر ·· ويعمل فيها حســـنا وعقلنا واعصابنا المرهفة ·

– وهو ما يحدث دائما ··

– أرأيت ·· كالحلم مضى ·· عذبا بساما واعدا ·· لم يكن مجرد أخ ·· بل صـديقى وابنى واخى ·· حلمى الممتد عبر الأفق ·· حاد الذكاء ·· مقبل على الحياة ··

كان بوسعه أن يختار اى عمل أخر ·· ويبرز فيه ··

اختار الجندية لأنها تناسبه ·· تتيح له فرصـــة حماية الوطن ·· كأنما يعد نفســــه لمهمة كبيرة منذ البداية ·· يحس انه خلق من أجـل عمل هام ·

(دموعـــا مذابة كانت نبرات صوته) ·

– تصـــورى اقعد انا داخل الـــدار ·· ويـــؤدى عنى واجـب التضحية ··

– لا تعذب نفســـك بمثل هذا التفكير ·· لســت مســـئولا عن الوضع ··

– يفتدينا جميعا ·· يســـد بجسده الطاهر منافذ الضعف وثغرات الخطـا ··

(يحمل نفسه وزرا فوق طاقته) ··

ـ أصغر منا بكثير ·· فى بداية تفتحه ·· ومقتبل العمر ·· يشاركون بالقتال ويذرون حياتنا ·· ونحن نقعد بعقر الدار ·· يفرض علينا العذاب والهوان ·· وتذوى بين ايدينا زهرة شبابنا ـ كما تموت أحلامنا ـ (ها قد انفجر البركان) ··

حاولت التماسك أمامه ·· يأتينى العذاب أيضا مضاعفا ·· يتصاعد مركبا ·

حزنى على الأم الحزينة ·· وبطلى الشهيد ·· ويحارى المعذب ·· والأخت المتفانية ـ مازالت كالنحلة تدور وتخدم وتؤدى الواجب ·· زاد صمتها وهزل جسدها ـ اشعر ان ساقيها ستخذلانها ويحتمل أن تقع بين لحظة واخرى ·

ـ احزان تسع بر مصر كله ـ فى الصباح دخلت القاعة فوجئت بالأم تجلس فى صدرها ساكنة ·· وخالة فريدة مكومة بجانبها ··



اقبلت عليها ·· قبلت راسها ـ أى كلام يقال لا معنى له ـ ضممت يدى الى صدرها ـ لتشعرنى انها تحس بى ·· تدفئنى ·· تطمئننى عليها ·· تحمينا باشعاع حنانها ·

تطلعت الى باب القاعة الخفيض بانتباهة مفاجئة ـ نظرت لم اجد شيئا ـ عادت تمعن البصر ·· تتحقق من الرؤية ـ لاحظت السماء زاهية ·· بهيجة الزرقة صافية ـ وكان الباب مفتوح عليها مباشرة ·· طاقة صاعدة ··

بصوت ناعم هامس ·· معاتب راحت تتحدث ··

« السماء ازينت لك يا حبيبى ··



كده مرة واحدة ٠٠ بعد الناس ما تكبر وتنضـــج وتبقى فى عــز عــزها ٠٠ تتخطف كده فجـــاة ٠٠ طيب تتمتع بحياتها الأول ٠٠ شبابها ٠٠ تنتصر وتفرح بعملها وتعطى أكتر » ٠٠

قامت فـريدة فزعة ٠٠ مروعة كأنما شاهدت حلما مفزعا ٠٠

ــ سلامة عقلك يا أمى ٠٠

لا نملك الا ايماننــــا ــ تكلمين من ؟ ٠٠ كـــده يذهب عقـــلك ٠٠ استغفرى ربك ٠٠ اصبرى ٠٠

أشاحت بيدها كمن يشـكو من عدم الفهم ٠٠ عادت تشير الى السماء « أكلمه هو ٠٠ عالم وســـامع ٠٠ واســـع العلم والمغفرة ٠٠ خالقنى وفاهمنى ٠٠ اشكى له منه » ٠٠

بكت فريدة بحرقة : لا يا امى ٠٠ انت لا ٠٠ عقـــلك يطير منك ٠٠ حرام ٠٠ ده اعتراض على حكمه ٠٠ ادعى بالصبر ٠٠

تنهـدت ٠٠ عادت للمناجاة : انت عالم ٠٠ عمود صـــبر من هنا للســـما ٠٠

(شعرت بها فى قمة التدين ٠٠ الخشـوع والمناجاة ٠٠ ارتفعت الى منزلة أعلى ٠٠ تسبح فى بحار الرحمة ٠٠ تسلم وجهها الى الله ٠٠ تذوب فى حب أسمى ٠٠ تبلغ أسباب السـماء ٠٠ تكاد أن تتلاشى من امامنا) ٠٠

انفرط عقـــد الفيلم ٠٠ توقف التصـوير ٠٠ جفت الحركة ٠٠ اتحد الموت الداخلى فى الفيلم ٠٠ بالموت فى القرية ٠٠

اضحى التاليف والواقع شـيئاواحـدا ٠٠
تطابق الصــــدق الفنى ٠٠ والصدق الواقعى ٠٠
التاليف والحادثة تنبع من بئرواحدة ٠٠

فهل تتطابق الحلول ايضا ·· وتتناغم الحركة ·· ويتحقق ما صورناه على الورق ·· السينما قوة تستطيع أن تؤثر فى عقول الناس ·· وتبعث فيها التفكير وتولد المشاركة ··

تلقت القرية الضربة الأولى ··

اشارة البدء ·· بداية قائمة الشهداء ·· يهزها الحدث ويبعثها من جديد ·· ترى نفسها كيانا واحدا ··

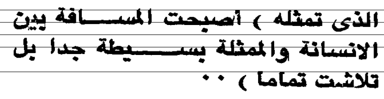
قالت أمل : نقيم مدرسة باسم الشهيد ··

الكل يشارك ··

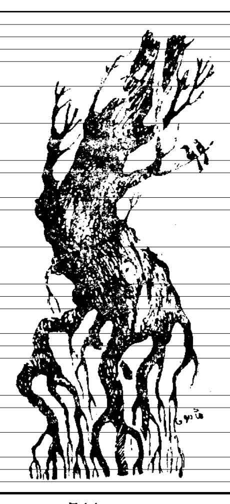
ـ وهو نفس دورها فى الفيلم ـ بقى أن نبحث عن المهندس الحقيقى الذى يشاركها البطولة والعمل ··

قالت : سأجد كل شىء ·· ابتداء من المال حتى الأقلام ومقاعد التلاميذ ··

كانت متحمسة ·· ينبض كيانها بالفكرة (تطابقت شخصيتها مع الدور



الذى تمثله) أصبحت المسافة بين الانسانة والممثلة بسيطة جدا بل تلاشت تماما) ··



ورغم الحزن ابتسمنا معا ··

(تقول بنظراتها أنت كتبت لى الدور ·· وتعرفيننى جيدا ·· هكذا اتحت لى الفرصة أن انطلق من الدور لأتحدث بذاتى ·· واتخذ نفس الموقف عند المواجهة) ··

وكنت أتابع كيف يتحول الحزن الخاص الى دافع للحركة والاداء ··

تحولت الأمور الى عملية بناء كبيرة ··

مدرسة ليست حدثا بسيطا



داخل مجتمع القرية ·· خصوصـا
عندما يشترك الجميع في اقامتها ··

ـ خرجنـا من دائرة الحـزن
المحرقة ـ المحزون يحتـاج دائما
للاخرين ·· واكف المعزين ··

(كنت اتوق لأن تصبح خطة
البناء حقيقة واقعة وتتم بسرعة كي
تنقلنا معها الى حركة الصعودوالارتفاع) ··

مدرسة غير عادية وغير تقليديةنحلم بها ·· يحس انسانها الصغير
انه ينتمي لقيم الحرية والتضحية ··يفخر باسم الشـهيد فوق دفتره وفي
السجلات المنشـورة ·· يحمله بينأوراقه وطيات عقله ·· وسط ذكريات
طفولته وبدء المعرفة ··

معمل صغير ينضج فيه الولدوالبنت ··
تجربة انضـاج الصغار اليمواطنين اكفاء ·

كان معين خارجا من حديقـة الفيلا عندما شاهد فتاة تتامل الزهور
·· زهرة حزينة ·· وجه شاحب نبيل ·· وعيونها سـوداء مثل ثوبها ··
قدر على الفـور انها تنتمي الى عائلة الربان ··

ـ تبحثين عن احد ؟
ـ السيدة نور ··
ـ اقول لها من ؟
ـ عـايدة ··

اعمل ذهنه بشدة ·· ربما تكوناحدى بنات الخالة فريدة · تقـدم
ناحية السلم ثم عاد اليها محييا :
ـ تدرسين المسرح ؟
ـ العلوم السياسية ··
ـ انا خريج معهد السينما ··
تذكر ·· يجب تعزيتها قبـلحديث التقديم والتعارف ··

تقبلت الأمر صـــــامتة ٠٠لا تشـجعه على المزيد ٠٠ ويريد ان يطيل الحديث معها ٠

ـ انا أيضا فكرت يومـــا فى دراسة الاقتصاد والعلوم السياسية عدت وقلت لنفسى ٠٠ ماذا يمكن ان اضيف للعالم ـ تعلمنا السياسة منذ طفولتنا وبداية الوعى ـ

فى المخيم سياســـــة ٠٠ فى المنفى سياسة ٠٠ ووســـط الخطر بسبب السياسة ٠

يغتصبون أرضـــنا وديارنا ويسمونها سياسة ٠٠

يشردون امتنا ويدعونهـــا سياسة ٠٠

بدات تنظر اليه باهتمـــام ٠٠تشجع باستماعها واستمر ٠

ـ قلت لنفسى من الأفضـــل ان ادعم نفسى بالفن ٠

الفن حياة ثانية لنـــا ـ كى نحسن عرض قضـــيتنا ونحس فى الأداء ٠



ـ فلسطينى ! ٠٠ لا يبدو هـــذا من لهجتك ٠

ـ نحن ابناء المخيمات تتفاعل معنا اللهجات حسب جهة الاقامة ـ

يطرق لحظة : من حسن حظى أن تعلمت بالقاهرة ٠

وهكذا تجديننى مصرى النزعـــة والقلب واللسان ٠٠

بدا لون الورد ينعكس عـــلى صفحة وجهها ٠٠ غمرها احســـاس بالالفة والمودة تمشيا معا فى الحديقة ٠٠ بعد فترة قال فجأة :

ـ اه تذكرت ٠٠ رأيت السيدتين تغادران الفيلا هل تريدين مشاهدة الديكور ٠٠ ومعدات التصوير ؟؟

اشارت انها توافق ٠٠ سالها:
ـ لم ارك فى الدار عند زيارتى لها ٠٠
ـ كنت بالقاهرة ٠٠ فى بيت خالى زياد وانا اول من تلقيت الخبر٠
شردت وانسحب اللون الوردى تماما ٠٠ مس قلبه حزنها ٠٠ ترقرقت الدموع ٠٠

ودت لو يدعوها او يمسك بيدها ٠٠ لم تقدر على مواصلة السير ٠٠ وجدت نفسها تحكي له :
ـ تعرف خالد كان قريبا منى ٠
كلنـــا نحب خالى زياد ٠٠ونعتبره مثلنا الأعلى ٠٠ وهو للأمور الهامة ٠٠ والقرارات المصـــيرية فىحياتنا ٠٠ نلجا اليه فى المســـائل الصعبة ٠
أمـا خالد فنشركه فى كل امورنا ٠٠ وذرات تفكيرنا يقف عليها ٠

(تذكر ما قاله عمه عندمـــارآه يبكى بحرقة على فقد ابيــه ٠٠ انظر حولك فى المخيم ٠٠ أبنـــاءكثيرون بدون أم او أب ٠٠ الاخــوة هى حصنهم ٠٠ ملاذهم الوحيد ٠٠والرحم الجامعة لهـــم ٠٠ الأرض الموعودة ٠٠ اب هائل يضـــمهم ٠٠والانتماء يكون للقضية ٠)
عاد بوعيه الى حكايتها مرةاخرى ٠٠
استمرت :
ـ قبل ان يسافر فى المـــرةالأخيرة ٠٠ اكتشف قلقى وخــوفى عليه ٠
قال : لولا عملى فى الجيش ٠٠لتطوعت للقتال ٠٠
الجندى هو الانســـان الذى لا يخاف ويستعد دائما للمواجهة ٠٠
هل نحتمل ان تهون مصر ٠٠٠تفقد كرامتها وعزتها ٠٠
اسمعى : الحياة جميلة بقدر ما نحب ما نصنعه فيها ٠٠ وما نؤديه من عمل ٠

سالته : ماذا لو لم تعد ··

قال : لايمكنني الاجـابة ·· الله وحده هو الذي يعلم ويقرر · من يملك امره من الله ·· سواء بقي اوذهب !

هل يليق الخوف بابنة الاخت فريدة - الانســانة - صاحبة أكبر تضـحية ·· التي تعمل باخلاص ونكران للذات ·

ايليق الجزع بحفيـدة الأم خالدة ·· وابنة اخت الريان زياد ·· ضحكت ساعتها وقلت اضـف الى شجرة العائلة « بطولة المقـاتل خالد » وشـاركني مرحي وبهجتي قائلا : هكذا يجب أن تكوني دائمـا قوية ·· صلبة ·· مليئة بالأمل ·

تجهش بالبكاء : لا اتصور انني لن اراه بعد الآن ·· او اتحدث معه لا اتخيل صورة الحياة ذاتها ·

يصل معين الى قمة تاثره ·· يحاول جاهدا ان يخفف عنها ·

- الموت ليس نهاية كل شيء ··

الأحبـاء يبقون معنا دائما ·· ذكرى كل ما فعلوه من اجلنا ··

في البداية تكون الصدمة ·· ثم شيئا فشيئا تجيء الذكرى دفيئة ·· حانية ·

- الوقت لا دخل لـه بتخفيف الحزن ·

كان صوته يتقطع بالألم وهـو يرد : انا دون العالم ·· وكل فلسطيني يدرك هذا جيدا ·· الإيام تزيدنا حزنا والما وفاجعة ·· احكى لك شـيئا وقـع لي ·

« كنت بعد صغيرا ·· وصاحبي عيسى نرتع بدروب القدس الرائعة ·· لم نكن نلعب مثل بقية الصبيان ·· كان لعبا وفنا وحبا ما نفعله - نجلس بقرب الاماكن المقدسة ·· ويردد لي تعاليم دينه ·· يقول ان « الله محبة ·· ولن يرضى بالظلم » ·· ويحفظ



منى آيات القرآن التى تعلمتها من ابى ..
كان يسمعنى تراتيل كنيسة ..
« هيا يا جنود المسيح تقدموا .. »
وكنت اقول له : ان ابى يقول « انه جهاد فى سبيل الله من يدافع عن الأرض والديار وعزة الانسان »
وعلى صغر سنه كان يدرك المعنى جيدا .. يقول ان المسيح عندما يطلب منا أن من يضربك على خدك الايمن ادر له الايسر .. كان لا يعنى ان تفعل ذلك مع الاشرار .. اتباع الشيطان ..

وهكذا كانت صداقتنا .. حصن امان .. وصفاء عبادة .. واطلاق مواهبنا الكامنة ..

حتى اليوم الرهيب الذى قرروا فيه هدم منزله .. وقفنا نشهد الموقف المريع .. والناس تبكى فى صمت .. منكسين رءوسهم ..

وعندما بدات حركة البلدوزر الثقيلة .. قفز فجاة من مكانه .. وقبل أن يستطيع احد منعه اندفع الى الداخل وكان أول ما انهدم . عندما دفنوه وقفت بعيدا أبكى ولا اعرف ماذا اصنع بنفسى بعده .. جاء القس

ـ بعد أن انتهى من صلاته .. يباركنى ويضمنى .. علنى اهدا ..
قال : اغمض عينيك يا ولدى لحظة ..

اطعته .. قال تخيل صديقك عيسى .. انت تراه الآن .. حدثه .. مد له يدك ..

والآن افتح عينيك .. شاهدت صاحبك ونحن ندفنه .. روحه صعدت الى السماء .. لكنه معك .. تراه وتسمعه جيدا .. باق فى ذاكرتك ..

ـ من أجل هذا خلق الرب الذاكرة ـ

انا لم انس حكمة الأب المقدس بعدها ابدا ·· وأنا ارى رفاق عمرى يتساقطون من حولى ··
الأحباء يبقـــون معنـــا فى الذاكرة ··
لا انسى عيسى وهو ينشـــد لى الترانيم ·· ويردد معى آيات الذكر ·· معى دائمـــا ويلهمنى الكثير فى عملى ومواقفى ·

تأثرت بحكايتـــه ـ وبدون ان تغمض عينيها تحس بوجود خالد وأنه يسمع حكاية معين معها ويبتسم لها ·
قالت : تبدو اكبر من سنك ··
حكاياتك وتجاريك ·· حتى فى سن الطفولة تزيد من حكمتك ··
ـ اعمارنا لا تقاس بيوم مولدنا ·· وايام عيشنا ·· تقاس بما عانيناه من محن ··
هتفت : وتقاس ايضا بالحكمة والمصابرة ·
تمثل دور القس : نعم يا ابنتى ·· من اجل هذا خلق الله الذاكرة ·
اخذ يباركهـــا ·· ويدور بيده حول راســـها ··
ـ الحـــق اقـــول ·· اتبعى ما اقوله لك ·· واطيعى ووافقى ·· لم تســـتطع الا ان تضحك ·· وضعت يدها على فمها كمن ضبطت تاتى فعلا غريبـــا ـ وقد فهمت ما يرمى اليه بكلماته ·· صاغها على نحو رقيق ··
ـ انت تذكرنى بخالد ··
كان يمـــرح فى عـــز الجـــد ·· ويصل الى هدفه بكلمات بسيطة ··



شردت : هو الآخر كان انضـــج من سنوات عمره ··
رد بأسى ـ يا ليتنى مثـــله ·· واقدم بعض ما قدم لأمته ··
ثم اشرق من جـــديد : من الآن اعتبرينى صديقك الوفى ·· مستشارك فى كل الأمور ·· شـــريك فى ذرات تفكيرك وطريقة تصورك ··

اطرقت راسها بحياء شجى ..
تشجع - يقولون فى مصر
« السكوت علامة الرضا » ..

استدرك بسرعة : ولو ان هذا
الشعب العظيم يصمت أحيانا على
ما لا يرضى .. ويصبر .. حتى يساء
فهم موقفه .. أن يفسر خطا ..

وتجىء انتفاضته عنيفة
مزلزلة ..

أظن المثل الشعبى يقولها
للبنات فقط .. وفى حالات عاطفية خاصة ..

حاولت الاعتراض باشارة من يدها .. لكنها آثرت الابتسام .
عاد الى جديته : المهم حقا .. أننا بدأنا حوارا .. نرجو أن يستمر بيننا .. اغمضت عينيها .. وكأنها تتقبل بركته وتعده بالاخلاص والوفاء فى الأيام الطيبة .. وعند الشدة والعنت .

— ٨ —

تتوقف عربة فاخرة امام الفيلا .. منى تقف على الباب شاردة ساهمة .. ينزل عادل عبد الوهاب يتقدم نحوها .

– واقفه ليه هنا ؟
لا ترد عليه .. تبدو مكتئبة نافرة ..
– زعلت لأنى نزلت وحدى الى القاهرة .. ؟
انت السبب .. رفضت الذهاب معى ..
يقترب منها : يا حبيبتى لم استطع البعاد .. وعدت من اجلك .. اضحكى بقى ..
يقبل يدها .. تنزعها منه بعنف : اوحشتك ..
– ولكن اين ذهب الجميع .. ؟
– انت لا تدرى ماذا حدث ..

ـ ابدا .. فيه ايه .. ؟

بكى صوتها : اخو الريان زياد استشهد ..

انت ايه .. لا تقرا الصحف ولا تسمع الأخبار .. لا تهتم ابدا ؟

ـ سمعت لكن لم اربط بين الاسم ..

قال بلهجة ساخرة .. وطبعا توقف الفيلم .. الجميع انشغلوا بالموت والعزاء ..

المرة دى لا جدال .. نرجع مع بعض .. وننتهى من الترتيبات اللازمة ..

ـ انت ايه ..

قلت لك موت .. شهيد .. حزن فى البلدة كلها .. وتفكر فى نفسك فقط ..



ـ يا حبيبتى الدنيا لن تتوقف . تكون عمليين احسن ..

ـ اما أن تكون مجنونا .. أو أكون انا المجنونة ..

ـ انا فعلا مجنون بك ..

تنهره ..

ـ أرجوك لا داعى لهذا اللون من التمثيل الردىء ..

ـ لا يمكن ارضاؤك ابدا ..

ـ بصراحة .. أعتقد ان احنا مختلفين تماما .. ولا نصلح لبعض ابدا ..

ـ تبقى جننت بالفعل ..

ـ افضل من الحياة معك ..

يبدو وكانه صدم .. يصمت لحظات ثم يعاود الحديث ..

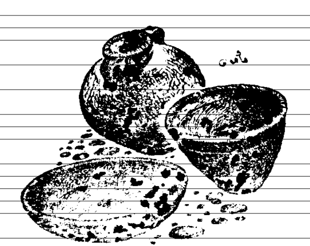
ـ احب اقول لك انك عمــرك
ما تبقى منهم ··
وتفضلي وحيدة ··
واذا كنت فاكرة معين يصــلح
لك ··
تمســــــك بذراعه بعنف : من
فضلك ·· بدون ما نخسر آخر ما بيننا
·· من زمان انا حاسه اننا نبتعد ··
لا يوجد شيء بيننا ··
بدليل اول ما قلت لك قــرارى
انفعلت وثرت وبادرت بالهجوم ··
يتقدم اليها لزجا متراجعـــا :
يا حبيبتي انا محتـــاج لك ·· خفت
يكون تاثيرهم عليك ·· انا لا استغنى
عنك ابدا ··

يقبل ذراعيها وكتفها وراسها ·
ـ انا نسيت نفسي لما تراجعت عن مشــــروع الزواج ده كل حلمي واملي ··
ـ لم تشـــعر بشيء عند خبر استشهاد شاب ·
ـ تاثرت فعــلا ·· لكن ممكن اعمل ايه ··
ـ ليه احنا مختلفين عنهم ··
هم دايمــا لهم المبـــادرة ·· يعرفون كيف يتصــرفون ·· تفكيرهم وسلوكهم شيء واحد ··
تكاد تنتحب : اشعر بالحزن ·· الشهيد لا اعرفه ··
لكنه مات من اجلنا ··
اريد توظيف الحــزن مثلهم ·· التعبير عنه بطـريقة نافعة ·· احيله الى طاقة عمل ··
ـ انا مثلك حــزنت ·· وفكرت فيما يمكن عمله ·· لكن مهما كانت

درجة الحــزن لا يمكن ان نعطــل الحياة ··
ـ اريد عمــلا نافعــا ·· له معنى ··
ـ وانا مستعد اشارك ··
تهدأ بعض الشيء ـ ليس سيئا الى درجة كبيرة ـ يمكن اصلاحه ··
يحدوها بعض الأمل ·
تقف في مواجهته :
ـ ننضم اليهم ونعمل معهم ··
ـ تحت امرك ··
كانما تفضى اليه بسر دفين : انا من غير المجموعة دى احس بالضياع ·· بالوحــدة ··
أريدك معى ·· المعاملة الودية من جانبك والاخوة ستزيل الحواجز بسرعة ··
ـ هم اصدقائى ودفعتى وفريق عملى من قال ان بيننــا حواجــز وسدودا ··
ـ بداوا فى اقامة مدرسة ··
ـ انا معهم مســتعد اجهزها حتى قبل تاثيث شقة الزوجية لنا ··
تشــــده من يده ـ هيا نبحث عنهم وننضم اليهم ؟!

●

جاء « رجل الماء » ظل واقفا ··
حيــاه معين ·· وطلب منــه الدخول ·· لم يتحــرك ولم يرد ··
تخلصت عايدة من دموعها ·· التفتت اليه ··
سالها : ازى الحال هناك ··
ـ الحمد لله ··
ـ والست الكبيرة ··
ـ صامتة ··
ـ قولى « صــابرة » ·· ربنا يصبرها ويربط على قلبها ··
رفع صــوته فى محاولة ليملك نفسه ويصبر ذاته ··



ـ امر الله ونفذ ٠٠ له الامر ٠٠
الفراق صعب ٠٠ اى نعم ٠٠ لكن ميتة حلوة ٠٠ جميلة ٠٠ من يطول يبقى شـــهيد ٠٠ منزلة عالية ٠٠ حقنــا نفرح ٠

اســـتدار وتاهب للانصراف
ـ كانه انتهى من رسالته ٠٠ لم ينتظر حديثا أو ردا من احد ٠٠ قال ما عنده وذهب الى حال سبيله ٠ قبل ان يخرج تماما توقف :

ـ تعاود الشغل ٠٠ الانســان يموت لكن العمـــل عمره ما ينتهى (قالها ومضى) ٠٠
ظلا مشدوهين ٠٠ همس معين : قال الرجل حكمة ٠٠
ـ حقيقى الشغل عمره ما ينتهى (عمـــله من النـــوع الـدائرى ٠٠ لا يكاد ينتهى ٠٠ حتى يجب أن يبـدأ من جديد فى معســــكرات التعذيب يستغلون هذه الدورة المضـــنية ٠٠ يقولون للضحية ٠٠ انزح مياه البحر بهذا الدلو ٠٠

ولا تمتلىء الحفرة ابدا ٠٠
أو احفـر بئرا بطول قامتك ٠٠ وبعد تعب اليوم يطلبون ردمه ٠٠
لكن « رجل الماء » يرى عمـــله هاما ونافعا ٠٠
يرش الأرض ٠٠ يرطب الجو ٠٠ ويمهـد الطـريق امام الســــائرين والعربات الفارهة ٠٠

عمـل لا ينتهى ابدا ٠٠ يذهب الانسان ٠٠ يفنى أو يذوى فى رحـم الأرض ٠٠ ويظل العمل قائما ٠٠
يقوم انسان آخر ليعمله) ٠٠
ـ اســـمعت ٠٠ قال الرجل حكمة ٠٠ ؟
ـ العمل باق ولا ينتهى ٠٠
ـ تدور عجلة كل يوم وتتمزه ٠

غدا او في اليوم الآخر تعمله ايضـــا ·· ولا يفرغ ابدا ·· دورة حيـــاة كاملة ·· ويظل موجودا لمن يعمـله ··

ـ وهكذا الشـــهيد ·· دوره متواصل ·· حي بيننا دائما ··

ـ ما اظن نور علام ضـــمنت قصتها مشهدا كهذا ··

الرجل البســـيط هو « حاجزامواج » لنا ··

ـ عندى نسخة من الســيناريو ·· لا توجد به هذه اللقطة ·· يضحك بعد فترة ·

ـ ماذا اقول ··

« رجل الماء » التقينا به هنا ·· كنا سنصوره ـ داخل عمله ـ في بداية الفيلم ··

لكن ما قاله الآن شيء آخر ··

ـ علينا أن نسرع لنخبرهم به·

ـ اين هم حقا ؟

ـ يعدون للمدرسة ··

ـ آه ·· جئت في الأساس من أجل المدرسة سأكون أول معلمة ··

اتخرج هذا العام ·· واعمـل هنا ·· بكالوريوس علوم سياسية ·· السياسة تبدا من هنا ··

فتح ذراعيه قفز في الهـواء ·· عاد اليه شبابه ·· مرحه وخفته ··

(لم يعد سنه يقاس بســـنوات القهر وسنى الخروج من الديار) ··

قال : لدى فكرة جنـــونية ·· توافقين عليها ؟

ـ اوافق دون أن اعرفها ··

ـ سابقى معك واعلم الأطفال ·

تقاربا ·· تعانقت ايديهمـا ··

هكذا وجـدوها عندما هـــدات نوبة الحماس والمرح ·

ـ قلت موافقة ·

ـ نعم ٠٠
ـ بيتا ومدرسة ٠٠ مرة واحدة ٠٠
ـ هيا بنا لنخبر الجميع اذن ٠
شدا على ايديهما وفجأة وجداها بينهما ٠٠ ذهلا من المفاجأة٠
ـ ماما سكينة ترتدى عباءتها وطرحتها البيضاء وبين أصابعها مسبحة ـ اين كانت ومن اين اقبلت ٠٠

صمتا تماما ٠٠ تقدمت السيدة :
ـ كيف حال جدتك يا عايدة ؟
لم يستطع أحد أن يجيب ٠٠ تكلمت السيدة ٠٠ غادرت صمتها ٠٠ نطقت بلسان واضح ٠٠
ـ ترفض الحديث ٠٠
ـ لا ٠٠ انا اقول لها ٠٠ ابنى لم يمت يا ست خالدة ٠٠ ابنى لم يمت ٠٠ الشهيد حى ٠٠ له الجنة ٠٠ الشهيد رجع ٠٠
لم يعرف معين ماذا يفعل سوى أن يضم عايدة ٠٠
ولم تدر عايدة ماذا يجب ان تصنع ٠٠ هل تضحك ام تبكى ٠٠
تجرى وتخبر اهل البلد ان « ماما سكينة » نطقت ٠٠ فكت عقدة لسانها وتحدثت ٠٠ وهى فى طريقها الآن الى الأم خالدة لتواسيها وتقف بجانبها وتمنعها من حاجز الصمت ٠
تمت المعجزة ٠٠ ورغم الحزن فهو زمان الوعد ٠٠ والدنيا تبدو ـ رغم كل شىء ـ مبهجة ٠
عندما اخبرونى بما قاله « رجل الماء » احسست انه هو « الشهيد الحى » بيننا ٠٠
منحنا نفسه فى النهاية ٠٠ قدمها هدية لنا ٠٠ وهبنا تجربة عمره وحكمته ٠٠ (الانسان يولد ويعود ٠٠ يقصر اجله او يعمر فى الأرض ٠٠ لابد من الرجوع ويبقى العمل قائما ٠٠ حاضرا ٠٠ وشاهدا) ٠٠

ينتظـــر ان يمد احـدا يده ·· يمسك الدلو ·· الفاس ·· او الراية ويؤدى العمل ··

« رجل الماء » ·· نبـدا به ·· وهو المشهد الأخير فى الرواية ··

يدلى بدلوه ·· يرش المـاء ·· لا يترك شـبرا جافا ·· يبرز فى ثباته وقوة عضلاته ·· يبدو شابا متينا ·· جذعا شـامخا ـ صـمود المصرى وصـلابته ·· مثل فلاح مصر القديم منحن على الأرض ·· يؤدى رقصته الدينية المقدسة ·· يسقيها عرقه ودمه ·· وحبات قلبه ··

عندما ياخذ منه الجهد والتعب ·· يتوجه الى الشـجرة العتيقة على رأس الجسـر « ياتى على قلة الماء » تنزل القطرات الرطبة على صدره ·· وتبلل ذقنه ·· كانما تداعبـــه ·· وتمسح تعبه ·· وتبلل جوفه ··

يميل بجســـده فى كوة بجذع الشجرة ·· يبدو هو وجسد الشجرة شيئا واحدا ··



يروح فى اغفاءة لذيذة ·· كانما غطته الجـــذوع والتحم تماما برحم الأرض ··

تقترب الصورة وتبتعد ولا تبدو غير الشجرة مهولة عنيفة ذات كبرياء وجلال ··

يبرز غلام صغير ·· يمســك بيده شتلة نخلة ·· يتلفت حوله ·· يجـد قلة الماء ·· يحفر الأرض على جانب الترعة ·· يغسل الشــتلة ثم يزرعها ·· يسقيها من ماء القلة ·· ويقف ليتفرج عليها ··

يفرد ذراعيـه ويخبط رجليه فى الهـواء ·· يبـدو مرحـا متالقا ·· يعود ليستلقى بجانب الشجرة الأم ··

حاجز امواج



يســـند راسه على جيدها ·· ينهض فجاة ·· يتسلقها ·· يطل من اعلى · يتنبه لوجود الدلو ·· يحمله وينزل مسرعا الى الترعة ·· يقفز فى الصعود ·· ذرات الماء تتقافز معه ·· يضــحك وكأنها تدغدغه ·· يتابع القفز أسرع وأسرع ·· ويرش نفسه بالماء ·· يبدو وكأنه يرشنا بالمـاء لنشاركه لعبته ·

– تبدو كلمة النهاية ··

هكذا التصوير يبدأ برجل الماء ·· وينتهى به والغلام الصغير يوحى بالأمل واستمرار العمل ·

استشـــهد واحد منا ·· ومعه كثيرون ·· لكن يتنزل معهم فى التربة بذور النصـــر المقبـــل ·· ورحيق التضحية والفداء ··

حكمة الرجل هزتنا جميعا ··

تضحية البطل غمرتنا وتفاعلت داخلنا وانطلقت قوى كامنة وطاقات مبدعة ·

فريق العمل آخذ فى البناء ··

البناء الفعلى والتشـــــييد والاقامة ·· والبناء الفنى وتجـــديد روح الانســـان ··

وهكذا جلى الحزن بصيرتنا ·· شد أوتار عزمنا ··

كنا صناع الفيلم ·· وأصحاب التجربة ·

« فوزيه مهران »

رقم الايداع بدار الكتب

٨٨/٤٠١٣

مؤسسة
روز اليوسف